المملكة العربية السعودية
جامعة الإمام
محمد بن سعود الإسلامية
كلية الدعوة والإعلام
قسم الدعوة

الدعوة الإسلامية في شمال أفريقيا
خلال القرنين الأول والثاني

بحث مكمل لمتطلبات الماجستير

إعداد
فهد بن سليمان السعيد

إشراف
الدكتور : فضل الهي

بسم الله الرحمن الرحيم

(مقدمة)

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه واتبع سنته الى يوم الدين ، أما بعد :

فان تاريخ الدعوة الاسلامية من الجوانب المهمة التي تدرس في كليات الدعوة وأقسامها . ورغم كثرة المصادر الأصلية لهذا الموضوع - اذ كتب التاريخ كلها تعدّ مصادر له - الا أن الكتابة فيه ليست سهلة ولا ميسورة ، فما يتعلّق بالدعوة في هذه المصادر شيء متناثر ، قليل .

ان تجميع ما في الكتب الأصلية من أخبار وأحداث تتعلق بأمر الدعوة - والحال هذه - يعدّ أمرا بالغ الأهمية لأنه يسهل على من يطلبها السبيل ويختصر له الوقت الكثير الذى يقضيه في قراءة الصفحات الكثيرة في الكتب الأصلية بحثا عما يتعلق بتاريخ الدعوة الاسلامية .

ورغم الأهمية البالغة لهذا الأمر ، فان الكتب والأبحاث التي اهتمت به قليلة ، وما وجد منها فلا يخلو من النقص والقصور ، فكتاب " الدعوة الاسلامية " لتوماس آرنولد مثلا تحدث عن فترة زمنية طويلة جدا ، وعن مساحة مكانية واسعة جدا ، فجاء حديثه حديثا مختصرا

الى أبعد الحدود . هذا بالاضافة الى أن مؤلفه أخطأ وتجنى كما هي عادة أكثر المستشرقين .

كان هذا أحد الأسباب التي دعتني لاختيار هذا الموضوع ، أما السبب الآخر فهو أن في الحديث عن تاريخ الدعوة وانتشار الاسلام ساهمة في بيان الحقيقة الواضحة المتمثلة بكون الشعوب التي اعتنقت الاسلام قد أسلمت باختيارها وطوع أمرها دون اكراه أو الزام . فان ما ساهم في اعطاء ما يقول المستشرقون وأعداء الاسلام نوعا من الذيوع قلة من شرح الكيفية التي دخلت بها الشعوب الكبيرة الكثيرة الى الاسلام والاطالة في المقابل في الحديث عن المعارك والغزوات والحروب ...

وقد اشتمل هذا البحث على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة،

أما التمهيد : فقد تضمن تعريف الدعوة لغة واصطلاحا ، والمراد بشمال أفريقيا .

وكان الفصل الأول بعنوان : وسائل الدعوة وأساليبها ، واحتوى على مبحثين :

المبحث الأول : وسائل الدعوة : وكان الحديث فيه عن الجهاد والمسجد والكتاب والمخالطة .

والمبحث الثاني : أساليب الدعوة ، وكان الحديث فيه عن : الدعوة بالقدوة ، والوعظ ، والتعليم ، والانكار ، والمناظرة .

وكان الفصل الثاني بعنوان :" نجاح الدعوة وأسبابه " ، واحتوى على مبحثين :

المبحث الأول : نجاح الدعوة ، وكان الحديث فيه أولا عن نجاح الدعوة بين غير المسلمين ، وثانيا عن نجاحها بين المسلمين .

والمبحث الثاني : أسباب نجاح الدعوة ، وكان الحديث فيه أولا عن الأسباب المحلية ، وهي : الحالة السياسية والعسكرية ، ثم الحالة الدينية ، ثم الحالة الاجتماعية ، وثانيا : عن الأسباب الذاتية ، وهي وضوح العقيدة الاسلامية وموافقتها للفطرة ثم سماحة الاسلام ثم العدل والمساواة .

أما الفصل الثالث والأخير : فكان بعنوان : " أشهر الدعاة " وتضمن مبحثين :

المبحث الأول : من القادة والولاة ترجم فيه لعقبة بن نافع ، وحسان بن النعمان ، واسماعيل بن عبيدالله بن أبي المهاجر ، وابراهيم بن الأغلب ، وادريس الثاني .

والمبحث الثاني : من العلماء وترجم فيه : لعبدالرحمن بن زياد ، وعبدالله بن فروخ ، والبهلول بن راشد ، وعبدالله بن عمر بن غانم ، وعلي بن زياد العبسي ، وأسد بن الفرات ، وسحنون بن سعيد .

ثم جاءت خاتمة البحث .

واني في الختام لأشكر شيخي وأستاذى الدكتور فضل الهـــــي الذى كان لتوجيهاتـــه أكبر الأثر في ظهور هذا البحث بهذه الصورة في هيكلـه العام . كما استفدت من ملاحظاته على جزئيات هـــــذا البحـــث .

كما أشكر ادارة الكلية على توفيرها الجو المناسب للبحـــــث والاطـــلاع ، وأخص بالذكر فضيلـة عميد الكلية الدكتور سعود بن محمد البشـــر ، وفضيلة وكيل الكلية الدكتور سعيد بن مبارك آل زعـــــير ، وفضيلـــة رئيس قسم الدعوة الدكتور زيد بن عبدالكريم الزيد . فلهـــــم جميعـا دعائي بأن يجزيهم الله عني خير الجزاء .

وصلّى اللـــه وسلّـم على نبينا محمـــد .

(التمهيـــــد)

١- **تعريف الدعوة لغة :**

للدعوة في اللغة معان عديدة نكتفي ببعضها :

جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس : " دعو الـــدال والعين والحرف المعتل أصل واحد وهو أن تميل الشيء اليـــك بصوت وكلام يكون منك "[1] .

ويقول الراغب الأصبهاني في المفردات في غريب القـــرآن : " الدعاء الى الشيء الحث على قصده "[2] .

وجاء في المعجم الوسيط : " دعا ... الى الشيء حثه على قصده "[3] .

فالدعوة في اللغة اذن الحث على قصد أمر من الأمـــور واستمالة الناس اليه ولو كان هذا الأمر اجتماعا على طعام مثلا .

٢- **تعريف الدعوة في الاصطلاح :**

ذكر بعض الكتاب[4] أن للدعوة في الاصطلاح معنيين :

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (جـ : ٢ ، ص : ٢٧٩) .

(٢) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصبهاني (ص : ١٧٠) .

(٣) المعجم الوسيط ، اعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة (جـ : ١ ، ص : ٢٨٧) .

(٤) الدعوة الاسلامية أصولها ووسائلها للدكتور أحمد غلوش (ص : ١٠) .

الأول : الدعوة بمعنى النشر ، ولهـا بهذا المعنى تعاريف متعددة:

١- عرفهـا البهي الخولي بقوله : " هي نقل أمة من محيط الـى محيط " (١) .

ويؤخـذ على هذا التعريف أنه يصدق على كل الدعـوات ولو لم تكن اسلاميـة .

٢- عرفهـا رؤوف شلبي بانهـا : " حركة احياء للنظام الالهـي الذى أنزلـه الله عز وجل على نبيـه الخاتم " (٢) .

ويؤخذ على هذا التعريف أنه لا يصدق على الدعوة فـي بداية أمرهـا عندما قام بها الرسول صلّى اللـه عليه وسلّم وقبـل أن يضعف العمل بالاسلام في زمن الصدر الأول من المسلمين.

٣- عرفها أحمد غلوش بأنها : " العلم الذى به تعرف كافـة المحاولات الفنية المتعددة الرامية الى تبليغ الناس الاسـلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق " (٣) .

ويؤخذ عليه أنه تعريف للدعوة باعتبارها علما يدرس وليس باعتبارهـا جهدا يبذل لنشر الاسلام .

---

(١) تذكرة الدعاة ، للبهي الخولي (ص : ٣٥) .

(٢) الدعوة الاسلامية في عهدهـا المكي ، مناهجهـا وغاياتهـا ، للدكتـور رؤوف شلبي (ص : ٣٢) .

(٣) الدعوة الاسلامية أصولها ووسائلها للدكتور أحمد غلوش (ص : ١٠) .

٤- وعرفها أبو المجد نوفل بقوله : " هي قيام من عنده أهلية النصح الرشيد والتوجيه السديد من المسلمين في كل زمان ومكان بترغيب الناس في الاسلام اعتقادا ومنهجا ، وتحذيرهم من غيره بطرق مخصوصة "[1] .

ويوضح أبو المجد نوفل تعريفه فيذكر أنه جامع لأركان الدعوة الأربعة :

١- الداعية . ٢ - المدعو .

٣- مادة الدعوة . ٤ - وسائل ايصال هذه المادة الى المدعو .

فلفظ " قيام من عنده أهلية النصح والتوجيه من المسلمين " بيان للداعية الذى ينبغي أن يكون مسلما واعيا لأن الدعوة الى الاسلام لا تتصور من غير مسلم ، أو من مسلم غير واع بالاسلام .

ولفظ " بترغيب الناس " بيان للمدعو ، وهو شامل للمسلمين وغيرهم وللعامة والخاصة وللعلماء وللجهال .

ولفظ " في الاسلام اعتقادا ومنهجا " بيان لمادة الدعوة التي هي الاسلام عقيدة وشريعة .

---

(١) الدعوة الى الله تعالى خصائصها ، مقوماتها ، مناهجها ، للدكتور أبو المجد نوفل (ص : ١٨) .

ولفظ " بطرق مخصوصة " بيان لكيفية الدعوة ووسائلها .[1]

وهذا التعريف في نظرى هو أرجح التعاريف لكونه جامعا مانعا سالما من الاعتراضات .

المعنى الثاني : الدعوة بمعنى الدين ، فاذا قيل : اتبعوا دعوة الله مثلا عني بالدعوة الدين الاسلامي نفسه .

وعلى هذا المعنى عرفها أحمد غلوش بقوله : " النظام العام والقانون الشامل لأمور الحياة ومناهج السلوك للانسان التي جاء بها محمد صلّى الله عليه وسلّم من ربه وأمره بتبليغها الى الناس وما يترتب على ذلك من ثواب أو عقاب في الآخرة "[2] .

ولا يوافق الدكتور رؤوف شلبي على معنى الدعوة هذا ، ويرى أن الدعوة في الاصطلاح لا تعنى سوى دعوة النشر فحسب[3] .

٣- المراد بشمال أفريقيا :

ان تحديد معنى أفريقيا لم يكن تحديدا واحدا في جميع العصور ، فقد أراد به العرب أول الأمر ما يلي مصر غربا الى

---

(١) الدعوة الى الله تعالى ، خصائصها ، مقوماتها ، مناهجها ، للدكتور أبو المجد نوفل (ص : ١٨) .

(٢) الدعوة الاسلامية ، أصولها ووسائلها ، للدكتور أحمد غلوش (ص : ١٣) .

(٣) الدعوة الاسلامية في عهدها المكي ، مناهجها وغاياتها ، للدكتور رؤوف شلبي (ص : ٢١) .

المحيط الأطلسي ، ثم ضاق هذا المعنى بعد ذلك .[1]

يقول ابن أبي دينار " وحد أفريقية بالطول من برقة الى طنجة وعرضها من البحر الشامي الى الرمال التي أول بلاد السودان قاله غير واحد . قلت في زماننا هذا لا يعبر بافريقية الا من وادى الطين الى بلاد باجة .[2]

وفي عصرنا الحاضر استخدم كثير من الكتاب لفظة "إفريقيا" معبرين بها عن " أفريقية " بمعناها القديم الواسع غير أنهم أضافوا اليها كلمة " شمال " لتصبح " شمال أفريقيا " قاصدين بها ما يلي مصر غربا الى المحيط الأطلسي وما يحده البحر المتوسط شمالا والصحراء الكبرى جنوبا وهو ما يصدق اليوم على " ليبيا " و" تونس" و" الجزائر " و" المغرب " .[3]

يقول عبدالواحد ذنون طه : " يعد اصطلاح شمال أفريقيا اصطلاحا عاما ، ولذا يستحسن قبل كل شيء أن تحدد المنطقة الجغرافية المشمولة ببهذه الدراسة ان هذا الاصطلاح يعد

---

(١) انظر فتح العرب للمغرب ، للدكتور حسين مؤنس (ص : ٢) .

(٢) المؤنس في أخبار أفريقية وتونس لابن أبي دينار (ص : ٢٠) .

(٣) انظر مثلا : تاريخ فلسفة الاسلام في القارة الأفريقية - الجزء الأول في الشمال الأفريقي ، للدكتور يحيي هويدى . والدعوة الاسلامية في غرب أفريقيا ، وقيام دولة الفولاني ، للدكتور حسن عيسى عبدالظاهر (ص : ٦٣) .

مرادفا لكلمة " المغرب " التي استعملها الجغرافيون والمؤرخون العرب ، وذلك لوصف معظم المناطق التي تمتد من الحدود الغربية لمصر وحتى شواطئ المحيط الأطلسي ، وفي هذه الدراسة سوف يستعمل اصطلاح " شمال أفريقيا " ليشير الى الأراضي التي تقع اليوم ضمن كل من تونس والجزائر والمغرب (١) .

وهكذا نرى د . عبدالواحد ذنون طه يقرر أن كلمة " شمال أفريقيا " تعني عند المؤرخين والجغرافيين العرب ما يلي مصر غربا الى المحيط الأطلسي ، غير أنه يوضح أن اصطلاحه في اطلاق هذا اللفظ في كتابه لا يشمل ذلك كله ، وانما يشمل " تونس " و " الجزائر " و " المغرب " فحسب . وهذا كما هو واضح اصطلاح خاص به في كتابه هذا وقد بينه ولا مشاحة في الاصطلاح .

---

(١) الفتح والاستقرار العربي الاسلامي في شمال أفريقيا والأندلس ، للدكتور عبدالواحد ذنون طه (ص : ٤٧) .

- الفصـــــل الأول -

(وسائـــــل الدعـــوة وأساليبهـــا)

المبحث الأول : وسائـــــل الدعـــــــوة .

المبحث الثاني : أساليـــــب الدعـــــــوة .

- المبحث الأول -

(وسائل الدعوة)

أولا : الجهاد :

١- الجهاد وسيلة للدعوة :

لقد كان الجهاد وسيلة هامة من وسائل الدعوة في شمال أفريقيا حيث فتح الأبواب أمام الدعاة ليسيحوا في شمال أفريقيا ويستقروا بها وينشروا الدين الحنيف والعقيدة السمحة .

وعندما نقول : إن الجهاد كان من أهم وسائل الدعوة الى الاسلام فإننا لا نعني أن الجهاد وسيلة لإلزام الناس بالدخول فيه والاقبال عليه ، اذ أن اجبار الناس على الاسلام أمر لا يقرّه الشرع الحنيف ولا يدعو اليه ، ولكننا نعني بقولنا هذا أن الجهاد وسيلة لتبليغ الاسلام الى الناس ، فمن شاء بعد أن يبلغه الاسلام الايمان آمن ، ومن لم يشأ الايمان لم يجبر عليه ، على أن يعلن من لا يؤمن به عن خضوعه للدولة الاسلامية وانضوائه تحت لوائها ، ويبرهن على ذلك بدفعه للجزية وهي مبلغ زهيد تتكفل الدولة الاسلامية بناء عليه بحماية غير المسلمين والقيام بشؤونهم ، يقابله عند المسلمين من المواطنين حق "الزكاة" .

فالجهاد اذن ليس الا لازالة العوائق التي تقف أمام تبليغ

الدعوة الى الناس ليتمكنوا من الاختيار بين الاسلام وغيره بعد أن يكونوا بكامل حريتهم .

ولهذا كان دستور المسلمين في حروبهم مع أعدائهم أن يبدؤوا بدعوتهم الى الاسلام ، فان أبوا دعوهم الى دفع الجزية ، فان أبوا كان القتال . فعل هذا الأمر المسلمون مع جرجير في حملة عبدالله بن سعد بن أبي السرح فلم يقبل الاسلام ولا الجزية ، فكان القتال ، وكان النصر للمسلمين ، وقبله بعض البربر دفع الجزية ولم يدخلوا في الاسلام فرضي المسلمون ذلك منهم ولم يقاتلوهم ، وأسلم كثير من البربر فلم يقاتلهم المسلمون بل شارك كثير منهم مع المسلمين الفاتحين .

ان القتال اذن ليس موجها للأفراد جميعهم ، بل هو موجه للقوى التي تقف حائلا دون وصول كلمة الحق الى الناس سواء تمثلت هذه القوى بأفراد متفرقين أو بدولة وجماعة متحدين .

ولهذا يقول شيخ الاسلام ابن تيمية في كتابه " السياسة الشرعية " : " واذا كان أصل القتال المشروع هو الجهاد

---

(١) انظر : " رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقية " ، لأبي بكر عبدالله بن محمد المالكي (جـ : ١ ، ص : ١٧ وص : ٢٦) .

(٢) انظر : فتح العرب للمغرب ، لحسين مؤنس (ص : ٥٥) .

(٣) انظر : الفصل الثاني ـ المبحث الأول من هذا البحث .

ومقصوده هو أن يكون الدين كله لله ، وأن تكون كلمة الله هي العليا ، فمن منع هذا قوتل باتفاق المسلمين ، وأما من لم يكن من أهل الممانعة والمقاتلة كالنساء والصبيان والراهب والشيخ الكبير والأعمى والزمن[1] ، ونحوهم ، فلا يقتل عند جمهور العلماء الا أن يقاتل بقوله أو فعله وان كان بعضهم يرى اباحة قتل الجميع لمجرد الكفر الا النساء والصبيان لكونهم مالا للمسلمين ، والأول هو الصواب ، لأن القتال هو لمن يقاتلنا اذا أردنا اظهار دين الله"[2] .

ويقول في موضع آخر : " فمن لم يمنع المسلمين من اقامة دين الله لم تكن مضرة كفره الا على نفسه"[3] .

وقد أثبت التاريخ أن السيف لم يستخدم في اجبار أحد على الاسلام ، ولم يحدث تعذيب وتنكيل يستهدف جذب الناس الى الاسلام وصرفهم عن دينهم . كما ثبت ذلك بالنسبة لأديان أخرى ، بل ان التاريخ يثبت أن غير المسلمين قد عاشوا في ظل المجتمع الاسلامي مكرمين معززين ، وأن السيف لم يرفع الا على الذين أرادوا أن يقوضوا بنيان المجتمع الاسلامي ويقلقوا

---

(١) زمن زمنا وزمنة وزمانة : مرض مرضا يدوم زمانا طويلا ، وضعف بكبر أو مطاولة علة . المعجم الوسيط - اعداد مجمع اللغة العربية في القاهرة (ج : ١،ص : ٤٠١) .

(٢) السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية ، لشيخ الاسلام ابن تيمية (ص : ١٤٠) .

(٣) المصدر السابق (ص : ١٠٥) .

أمنه ويقفوا أمام عقيدته .

يقول د . محمد نعيم ياسين : " ان القتال الاسلامي ليس موجها ضد الأفراد بأعينهم ولا لاجبار أحد على اعتناق الاسلام وانما هو قتال للأنظمة السياسية والاجتماعية التي تقوم على أساس العبودية للبشر بالتزام مناهجهم وتطبيق أحكامهم وهو قتال موجه للقائمين على تلك الأنظمة والمناهج والقيم ، وأما الأفراد فالمقاتلون المسلمون يتعرضون لهم بقدر ما يسهمون في المدافعة عن تلك الأنظمة "(١) .

وأما قوله صلّى الله عليه وسلّم : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الّا الله ، فمن قال لا اله الّا الله فقد عصم مني نفسه وماله الّا بحقه وحسابه على الله)(٢) .

فالمراد بالناس في الحديث هم مشركوا العرب خاصة باجماع العلماء(٣) .

والعلّة في ذلك هو ما تقتضيه مصلحة الانسانية في اجتثاث جذور الوثنية والشرك ، ولأنه كان لا بد من ايجاد نواة للاسلام

---

(١) افتراءات حول غايات الجهاد ، للدكتور محمد نعيم ياسين (ص:٢٩) .

(٢) رواه البخاري (ج:٦ ، ص:١١٢ - مع الفتح) ، ومسلم (ج:١ ، ص: ٢٠٦ - مع شرح النووي) ، وفي مسلم تقديم " ماله " على " نفسه " .

(٣) انظر: آثار الحرب في الفقه الاسلامي ، للدكتور وهبة الزحيلي (ص:١٢١) .

تكون مركزا يشع منه الهدى والنور على العالم ، وللعلة نفسها ورد النهي عن أن يجتمع في جزيرة العرب دينان (١) .

٢- مراحل فتح شمال أفريقيا :

في عهد الخلفاء الراشدين :

بدأ المسلمون بغزو شمال أفريقيا قبل أن تطمئن أقدامهم في مصر ، فقد سار عمرو بن العاص رضي الله عنه سنة ٢٢ هـ ففتح برقة (٢) صلحا ، وضرب الجزية على أهلها ، ثم سار الى طرابلس (٣) وفتحها كذلك . وفي سنة ٢٣ هـ كان المسلمون قد فتحوا جميع لوبية (٤) .

وبعد أن تولى عثمان بن عفان رضي الله عنه الخلافة بسنتين أى سنة ٢٥ هـ عزل عمرو بن العاص رضي الله عنه عن ولاية مصر

---

(١) انظر : آثار الحرب في الفقه الاسلامي ، للدكتور وهبة الزحيلي (ص : ٩٩) .

(٢) برقة : هي النصف الشرقي من ساحل " لوبية " .
انظر : العرب والاسلام في الحوض الغربي من البحر المتوسط ، للدكتور عمر فروخ (ص : ٥١) .

(٣) طرابلس : هي النصف الغربي من ساحل " لوبية " . انظر : المصدر السابق (ص : ٥١) .

(٤) لوبية : هي ما يعرف اليوم بليبيا ، وهي البلاد الواقعة بين مصر والقطر التونسي . انظر : المصدر السابق (ص : ٥١) .

وولى عليها عبدالله بن سعد بن أبي السرح رضي الله عنه[1] ، وفي سنة ٢٧ هـ خرج عبدالله بن سعد الى غزو شمال أفريقيا وكان عليها حاكم يقال له " جرجير " سلطانه من " طرابلس " الى " طنجة " ، والتقى عبدالله بن سعد بجيشه المكون من عشرين ألفا بجرجير قرب " سبيطلة "[2] ومعه ما يزيد عن مئة ألف مقاتل ، فالتحم الجيشان ، وكان النصر للمسلمين ، وقتل جرجير ودخل المسلمون " سبيطلة " ، وبثوا السرايا في النواحي الجنوبية مما دفع الروم والبربر الى طلب الصلح فصالحهم عبدالله بن سعد بن أبي السرح على مبلغ كبير من المال يؤدونه للمسلمين ورجع الجيش الاسلامي الى مصر سنة ٢٨ هـ .

ولم يقم المسلمون بعمل يذكر لفتح شمال أفريقيا بعد ذلك الى نهاية عهد الخلافة الراشدة سنة ٤٠ هـ ، حيث انشغل

---

(١) هو : عبدالله بن سعد بن أبي السرح القرشي ، أسلم قبل فتح مكة ، وهاجر الى المدينة ، وكان يكتب الوحي للرسول صلّى الله عليه وسلّم ثم ارتد عن الاسلام ، وعاد الى مكة ، وفي فتح مكة استأمن له أخوه من الرضاعة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، حتى أتى به الرسول صلّى الله عليه وسلّم ، فأسلم ، وحسن اسلامه ، توفي سنة ٣٦ هـ .
انظر : الاصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر (جـ ٢ : ص : ٣١٦) ، وقادة فتح المغرب ، لمحمود شيت خطاب (جـ ١ : ص : ٥١) .

(٢) سبيطلة : مدينة كائنة بأواسط القطر التونسي في الجنوب الغربي من القيروان ، كان لها شأن في تاريخ الرومان والبيزنطيين . خلاصة تاريخ تونس ، لحسن حسني عبدالوهاب (ص : ٤٤) .

المسلمون بالفتنة زمن عثمان رضي الله عنه ، ثم بالخلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما .

في عهد معاوية رضي الله عنه :

لما تولّى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه الخلافة أعاد عمرو بن العاص رضي الله عنه واليا على مصر ، فأخذ يبعث الى شمال أفريقيا جندا يصيبون أطرافها ولم تخرج هذه البعوث عن كونها سرايا صغيرة لم تصل الى درجة الجيش الكبير ، فلما كانت سنة ٤٤ هـ توفى عمرو بن العاص رضي الله عنه ، فولى معاوية رضي الله عنه معاوية بن حديج[1] رضي الله عنه على قيادة الفتوح في شمال أفريقيا وجعلها ولاية قائمة بنفسها مستقلة عن مصر .

وخرج معاوية بن حديج رضي الله عنه على رأس جيش قوامه عشره آلاف مقاتل الى شمال أفريقيا سنة ٤٥ هـ ، وبلغ قيصر الروم خبر هذا الجيش فأرسل الى " قرطاجنة "[2] نجدة عن طريق البحر

---

(١) هو : معاوية بن حديج بن جفنة السكوني ، اختلف في صحبته ، وذكره ابن حجر في القسم الأول من حرف الميم ، وهو القسم الذى وردت صحبته بطريق الرواية عنه أو عن غيره . شهد فتح مصر مع عمرو بن العاص رضي الله عنه ، وكان واليا لعثمان رضي الله عنه . توفى سنة ٥٢ هـ .
انظر : الاصابة لابن حجر (جـ : ٣ ، ص : ٤٣١) ، وقادة فتح المغرب لمحمود شيت خطاب (جـ : ١ ، ص : ٧٥) .

(٢) بلد قديم من نواحي أفريقيا بينها وبين تونس اثنا عشر ميلا ، وتونس عمرت من خراب قرطاجنة وحجارتها . معجم البلدان لياقوت الحموى (جـ : ٤ ، ص : ٣٢٣) .

فالتقى المسلمون بالروم ومن معهم من البربر قرب " الجـــم "[1] ، فهزموهم وبعث معاوية بن حديج رضي الله عنه عبدالله بن الزبـير رضي الله عنه بسرية من الجيش ، كما بعث عبدالملك بن مـــروان بسرية أخرى الى بعض المدن القريبة فتم فتحها ، وبعد هـذه الحملة عاد معاوية بن حديج رضي الله عنه الى مصر ، وولـــى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه مكانه على قيادة جيوش الفتح في شمال أفريقيا " عقبة بن نافع الفهرى[2] رحمه الله وذلك سنـة ٥٠ هـ .

توجه عقبة رحمه الله الى شمال أفريقيا ومعه عشرة آلاف جندى وردوا عليه من معاوية رضي الله عنه ، وضم اليهم من أسلم مـــن البربر ، وسار متنقلا بين الواحات التي لقيها في طريقه ، ثـم اتجه الى مكان القيروان وشرع في بنائها ، واستمر في بنائهـــا وتخطيطها أربع سنوات ، كان أثناءها يرسل السرايا لتفتح المدن والقـــرى .

وفي سنة ٥٥ هـ عزل معاوية رضي الله عنه عقبة عن قيـــادة الجيوش بتدبير من مسلمة بن مخلد والي مصر الذى ولي علـــى

---

(١) تقع جنوب الموضع الذى بنيت فيه القيروان . فتح العرب للمغـرب ، لحسين مؤنس (ص : ٩٧) .

(٢) سوف تأتي ترجمته بشيء من التفصيل باذن الله في الفصل الثالث .

شمال أفريقيا واليا من قبله هو " أبو المهاجر دينار "[1] مـــولاه ، وهكذا عادت شمال أفريقيا تابعة لمصر ، وقد بعث أبو المهاجـر رحمه الله حنش بن عبدالله الصنعاني[2] رحمه الله تعالى الـــى جزيرة شريك[3] ففتحها ، كما قام أبو المهاجر بقتال " كسيلـــة " وكان من عظماء البربر الذين اعتنقوا النصرانية وجمع حوله جموعا من قومه ومن بقايا الروم للقتال المسلمين ، فالتقى به أبو المهاجـر عند تلمسان[4] ، فهزمه وشتت جيشه وأسره وتألفه حتى أسلم .

في خلافة يزيد بن معاوية :

لما تولى يزيد بن معاوية الخلافة أعاد عقبة بن نافع رحمه

---

(١) أبو المهاجر دينار : هو مولى مسلمة بن مخلد الأنصاري والي مصـر ، وكان من التابعين ، ولا نعرف شيئا عن مولده ولا عن نشأته ، استشهـد مع عقبة بن نافع سنة ٦٣ هـ .
انظر : رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ٣٣) ، والبيان المغـرب لابن عذارى (جـ : ١ ، ص : ٢١) ، وقادة فتح المغرب ، لمحمود شيـت خطاب (جـ : ١ ، ص : ١٣٧) .

(٢) حنش بن عبدالله السبائي الصنعاني الأندلسي ، سكن القيروان واختط بها دارا ومسجدا . انظر : رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ١٢١) .

(٣) جزيرة شريك : هي شبه جزيرة تقع شرقي مدينة تونس . انظر : خلاصة تاريخ تونس ، لحسن حسني عبدالوهاب (ص : ٤٧) .

(٤) تلمسان : مدينة قديمة على مسير بضع مئات من الياردات في الشمـال الشرقي من المدينـة الحديثـة . دائرة المعارف الاسلامية ، لمجموعة من المستشرقين (جـ : ٥ ، ص : ٤٥٢) .

الله واليا على شمال أفريقيا سنة ٦٢ هـ مرة أخرى ، فبدأ ولايته بأن أعاد الناس الى القيروان وعمرها ، ثم خلف عليها زهير بن قيس البلوى[1] رضي الله عنه في حامية صغيرة من الجند ، ثم خرج على رأس جيش تعداده خمسة عشر ألفا ، وسار في حملته الكبرى يقاتل من واجهه ووقف في طريقه قتالا شديدا ، وقد بلغت معاركه عددا كبيرا بالنسبة للحملات التي سبقته حتى وصل الى المحيط الأطلسي .

ثم قفل عقبة بعد ذلك راجعا الى القيروان وأذن في رجوعه للجيش أن يتقدمه الى القيروان ، وبقي هو في نحو ثلاثمائة منهم ، وكان عقبة قد أساء معاملة كسيلة وقيده في الحديد غير أنه تمكن من الفرار ، وجمع قومه واعترض عقبة بجيش كثيف من الروم والبربر عند " تهودة "[2] ، فاستشهد عقبة ولم يسلم من معه الا من وقع في الأسر ، وقد سعى صاحب " قفصة "[3] لخلاصهم وردهم الى القيروان . وبلغ المسلمين في القيروان ما نزل بعقبة

---

(١) هو : زهير بن قيس البلوى ، اختلف في صحبته ، وذكره ابن حجر في القسم الأول من حرف الزاى . استشهد سنة ٦٦ هـ .
انظر : الاصابة لابن حجر (جـ:١ ، ص:٥٥٥) ، قادة فتح المغرب لمحمود شيت خطاب (جـ:١ ، ص:١٥٠) .

(٢) تهودة : أرض لقبيلة من البربر هم تهودة . مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، للبغدادى (جـ:١ ، ص:٢٨٣) .

(٣) مدينة قفصة : تقع بالجنوب الغربي من الدولة التونسية ، خلاصة تاريخ تونس ، لحسن حسني عبدالوهاب (ص:٣٢) .

وأصحابه ، وبزحف " كسيلة " اليهم ، فانسحبوا الى مصر ، وأقام بعضهم مرابطا في " برقة " فلما وصل كسيلة الى القيروان دخلها دون قتال ، واستأمن اليه من بقي بها من المسلمين فأمنهم وذلك سنة ٦٤ هـ .

في خلافة عبدالملك بن مروان :

توفى يزيد بن معاوية سنة ٦٤ هـ ، وخلفه ابنه معاوية الذى ما لبث أن توفى ، فجاء بعده مروان بن الحكم وبقي في الخلافة عشرة أشهر قضاها في قتال عبدالله بن الزبير رضي الله عنه ، وخلفه ابنه عبدالملك سنة ٦٥ هـ ، وقد انشغل هو الآخر بمقاتلة عبدالله بن الزبير رضي الله عنه ، وفي سنة ٦٩ هـ وقبل أن يتغلب عليه أسد زهير بن قيس البلوى رضي الله عنه بجيش كبير وولاه على شمال أفريقيا ، فسار الى القيروان ، ونشبت الحرب بين المسلمين وبين جيش كسيلة فهزم كسيلة واستعاد المسلمون القيروان . وعاد زهير بن قيس الى برقة بعد أن ترك حامية من الجيش في القيروان ، وكان الروم قد هاجموا سواحل برقة وأكثروا من القتل والسلب ، فوصل زهير بن قيس رضي الله عنه بجيشه منجدا ، غير أن الروم كانوا كثيروا العدد، بحيث استطاعوا أن يهزموا المسلمين ، فاستشهد في هذه المعركة كثير من المسلمين ومنهم زهير بن قيس رضي الله عنه نفسه .

وبعد أن انتظمت الأمور لعبدالملك بن مروان ، وقضى على

ثورة عبدالله بن الزبير رضي الله عنه كلف حسان بن النعمان[1] بقيادة جيوشه في شمال أفريقيا وأمده بأربعين ألف جندى ، فسار الى شمال أفريقيا سنة ٧٦ هـ ، وأخذ يستعيد مدنها واحدة تلو الأخرى ، وحاصر مدينة " قرطاجنة " قاعدة ملك الروم في شمال أفريقيا وقطع عنها الماء الى أن فتحها عنوة وأذعن له من كان فيها من النصارى ، فلما انصرف عنها تحصن بها قوم من الروم والبربر ، فرجع اليها وهدم حصونها وشرد أهلها ، فقضى بذلك على قوة الروم . ثم اتجه الى قوة البربر فسار الى " جبال أوراس "[2] حيث اجتمعت طوائف من البربر تحت قيادة امرأة بربرية كانت تدعى بالكاهنة ، فالتقى الجيشان والتحم القتال ، فكان أن انهزم حسان بن النعمان رحمه الله واستشهد عدد كبير من جيشه ، فعاد الى طرابلس منتظرا المدد من المشرق ، وعادت الكاهنة الى جبال أوراس ، ولم تتعرض للقيروان .

فلما وافى المدد حسان بن النعمان رحمه الله عاد مرة أخرى في طلب الكاهنة ، فما أن علمت بعودته حتى طلبت من قومها تخريب المدن والحصون وقطع الأشجار لأن العرب في نظرها انما يطلبون الزروع والأموال ، فان لم يجدوها فسوف يعودون من

---

(١) سوف تأتي ترجمته بشيء من التفصيل باذن الله تعالى في الفصل الثالث .

(٢) جبال أوراس : سلسلة جبال بالجنوب الشرقي من الجزائر . انظر : خلاصة تاريخ تونس ، لحسن حسني عبدالوهاب (ص : ٥٠) .

حيث جاءوا ، غير أن هذا العمل أضعف من أمر الكاهنة فبدأ الناس يعرضون عنها ويميلون الى تأييد المسلمين ، ومضى حسان لقتال الكاهنة فتتبعها في جبال أوراس الى أن قضى عليها وهزمها هزيمة ساحقة .

وهكذا استطاع حسان بن النعمان رحمه الله بفضل الله تعالى أن يقضي على قوة الروم وعلى قوة البربر ، ولم يبق بعد ذلك الا قبائل بربرية متفرقة في نواح قاصية ، وعاد حسان رحمه الله بعد ذلك الى القيروان سنة ٨٢ هـ ، وفي هذه السنة تم فتح شمال أفريقيا واستقر كما يرى الدكتور حسين مؤنس (١) .

وفي سنة ٨٥ هـ عاد حسان بن النعمان الى دمشق وتولى مكانه موسى بن نصير (٢) رحمه الله تعالى ، فوجد السبيل أمامه ممهدة ، فقد قضى حسان رحمه الله على قوة الروم وعلى قوة البربر الرئيسة فلم يجد الا قوى يسيرة لا يؤبه بها ، فقام باخضاعها وتأديبها (٣) .

---

(١) انظر : فتح العرب للمغرب (ص : ٢٥٩) .

(٢) هو : موسى بن نصير اللخمي ، ولد سنة ١٩ هـ ، وتوفى سنة ٩٨ هـ ، بالمدينة وهو أحد التابعين ، كان والده نصير أحد حراس معاوية رضي الله عنه . انظر : البيان المغرب ، لابن عذارى (جـ : ١ ، ص : ٣٩) ، وقادة فتح المغرب ، لمحمود شيت خطاب (جـ : ١ ، ص ٢٢١) .

(٣) انظر لأحداث فتح شمال أفريقيا : فتح العرب للدكتور حسين مؤنس . خلاصة تاريخ تونس ، لحسن حسني عبدالوهاب . العرب والاسلام في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط ، للدكتور عمر فروخ ، الجندية في عهد الدولة الأموية ، لوفيق الدقدوقي .

ولم يتوقف دور الجهاد في الدعوة الاسلامية بعد استقرار الفتح ، بل استمر وكان الوسيلة الفعالة في القضاء على آخر الآمال البيزنطية في العودة الى شمال أفريقيا حيث قامت الرباطات ، وخاصة على الساحل ، والرباط في اللغة : ملازمة ثغر العدو وأصله من أن يربط كل واحد من الفريقين خيله ثم صار لزوم الثغر رباطا (١) .

ويبدو أن الرباط صار يطلق على الحصون التي يرابط فيها من باب اطلاق اسم الشيء على محله .

وقد كان رباط المنستير (٢) هو أوّل رباط أنشيء في أفريقيا ، أقامه الوالي العباسي هرثمة بن أعين سنة ١٧٩ هـ ، ويبدو أن هذا الرباط لم يكن في أول أمره الا قصرا كبيرا (٣) يتحصن به المرابطون

---

(١) لسان العرب ، لابن منظور (جـ : ٩ ، ص : ١٧٣) .

(٢) المنستير : مدينة ساحلية بين سوسة والمهدية ، كانت في أول أمرها مقعدا يرابط فيه المسلمون لمواجهة غارات النصارى في جهة البحر ، ثم بنى الناس حول القصر شيئا فشيئا الى أن صارت مدينة أواخر القرن السادس الهجرى .
انظر : خلاصة تاريخ تونس ، لحسن حسين عبدالوهاب (ص : ٦١) .

(٣) دائرة المعارف الاسلامية لمجموعة من المستشرقين (جـ : ١٠ ، ص : ٢٠) وهرثمة بن أعين : هو أحد الأمراء والقادة للدولة العباسية ، ولاه الرشيد مصر ، ثم أفريقيا ، واستمر واليا عليها سنتين ونصفا ، ثم طلب من الرشيد أن يعفيه ، فنقله أميرا على خراسان ، توفى سنة ٢٠٠ هـ . انظر : الأعلام للزركلي (جـ : ٨ ، ص : ٨١) .

على الساحل ويراقبون من أعاليه السفن في عرض البحر لئلا يفاجيء البيزنطيون المسلمين ، يدل لذلك قول ابن عذارى عن هرثمة بن أعين : " وهو الذى بني القصر الكبير المعروف بالمنستير "(١) .

ثانيا : وسائل أخرى :

١- المسجد :

يعتبر المسجد من أهم وسائل الدعوة الاسلامية بين مرتاديه ، وهم في الأعم الأغلب من المسلمين ، اذ يقوى صلات المسلمين بعضهم ببعض ، فيلتقون فيه ، ويكثر ترادهم عليه لأداء الصلوات الخمس وصلاة الجمعة ... الخ .

ولا يقتصر دور المسجد على اقامة الشعائر التعبدية ، بل ان المسجد كذلك يعتبر مدرسة للتربية والتعليم ومكانا يتجمع فيه المسلمون ليبحثوا فيه كل ما يهمهم من أمور الدنيا والدين .

ان أهمية المسجد تكمن في كونه مكانا يجتمع فيه المسلم بالجماعة المسلمة ، وهو ليس مكانا عاديا بل هو مكان له جلاله وقدسيته الدينية ، ومن ثم فان المسلم يتأثر بسلوك الجماعة المسلمة ويسلك سلوكا منسجما مع قيمها ومثلها اذ المسجد يعد رمزا لهذه القيم يدل ارتياده على الايمان بها والامتثال لها .

---

(١) البيان المغرب ، لابن عذارى المراكشي (جـ : ١ ، ص : ٨٩) .

لذا وجدنا المسلمين يهتمون ببناء المساجد منذ أن وطئت أقدامهم شمال أفريقيا ، وكان هذا العمل عملا رسميا تقوم به الدولة ممثلة بولاتها ، فالصحابي الجليل عبدالله بن أبي السرح[1] قائد احدى الحملات بنى مسجدا في موضع القيروان ، وكذا عقبة بن نافع[2] رحمه الله ، وقد جدد مسجده حسان بن النعمان[3] رحمه الله سنة ٨٤ هـ .

وقد قام الأفراد أيضا بهذا العمل تقربا الى الله تعالى فمنهم على سبيل المثال اسماعيل بن عبيد أحد العشرة التابعين الذين بعثهم عمر بن عبدالعزيز رحمه الله لتعليم أهل شمال أفريقيا الحلال والحرام ، وقد بنى المسجد الكبير بالقيروان الذى يعرف بمسجد الزيتونة[4] .

ومن قام ببناء المساجد من الأفراد أيضا أبو عبدالله بن رباح اللخمي[5] ، وأبو رشدين بن عبدالله السباني[6] ، وزياد بن أنعم السفياني[7] ، وعبدالرحمن بن اسميفع[8] ، وغيرهم .

---

(١) انظر : رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ٦٧) .
(٢) المصدر السابق (جـ : ١ ، ص : ١٢) ، وفتح العرب للمغرب ، لحسين مؤنس (ص : ١٤٤) .
(٣) رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ٥٦) .
(٤) المصدر السابق (جـ : ١ ، ص : ١٧) .
(٥) المصدر السابق (جـ : ١ ، ص : ١٩) .
(٦) المصدر السابق (جـ : ١ ، ص : ١٢١) .
(٧) المصدر السابق (جـ : ١ ، ص : ١٢٩) .
(٨) المصدر السابق (جـ : ١ ، ص : ١٣١) .

وقد ذكر الدباغ في كتابه " معالم الايمان " بعض مساجد القيروان القديمة ، فعد منها ما يزيد عن عشرة مساجد (١) ، ولا شك بأن هذه المساجد كانت مراكز تنوير وتعليم وأماكن تربية وتوجيه لسكان القيروان والقادمين عليها .

٢- الكتـــاب :

الكتاب محل بسيط البناء (٢) ملحق بالمسجد يتعلم فيه الصبيان ولا ينافي هذا التعريف ما وجد في الأزمان المتأخرة من كون الكتاب في المسجد نفسه ، فان دخوله الى المسجد متأخر عن هذه الفترة - القرنين الأول والثاني - بل متأخر عن زمن محمد بن سحنون صاحب كتاب " آداب المعلمين " المولود سنة ٢٠٢ هـ ، والمتوفي سنة ٢٥٦ هـ (٣) ، كما يرى الأستاذ حسن حسني عبدالوهاب (٤) .

وعدم ادخال الكتاب في هذا الزمن الى المسجد راجع الى الرغبة في عدم التشويش على المصلين ، ولأن الأطفال عادة لا يتحرزون من النجاسات ، ولذا لما سئل الامام مالك عن الكتاب هل يكون في المسجد ؟ قال : " لا أرى ذلك يجوز لأن الأطفال

---

(١) انظر : معالم الايمان ، للدباغ (جـ : ١ ، ص : ٢٧) .
(٢) انظر : مقدمة حسن حسني عبدالوهاب لآداب المعلمين لمحمد بن سحنون (ص : ٣٢ و ص : ٥٦) .
(٣) انظر : رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ٤٤٤) .
(٤) انظر : المصدر السابق (جـ : ١ ، ص : ٥٦) .

لا يتحفظون من النجاسة "[1] .

ويظهر أن هذه الكتاتيب قد أنشئت في زمن مبكر جدا وقبل أن يستقر الفتح في شمال أفريقيا ، نقل المالكي عن غياث ابن شبيب أنه قال : " كان سفيان بن وهب[2] صاحب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يمر بنا ونحن غلمة بالقيروان فيسلم علينا ونحن في الكتاب ، وطيه عمامة قد أرخاها من خلفه "[3] .

وكان دخول سفيان بن وهب رضي الله عنه الى شمال أفريقيا خلال سنة ٧٨ هـ ، ووفاته سنة ٨٢ هـ .

وكانت أجرة معلم الكتاب تأتيه من أولياء الصبيان ، ويغلب على الظن أنها لم تكن محددة بقدر معين ، وانما كانت تختلف من شخص لآخر حسب قدرة وليه واستطاعته ، جاء في رياض النفوس أن عبدالله بن غانم الرعيني[4] دخل عليه يوما ولد صغير له

---

(١) انظر : آداب المعلمين لابن سحنون (ص : ٥٦) ، وتاريخ التربية الاسلامية لأحمد شلبي (ص : ٥٣) .

(٢) سفيان بن وهب الخولاني ، اختلف في صحبته ، وذكره ابن حجر في القسم الأول من حرف الميم ، دخل شمال أفريقيا سنة ٧٨ هـ ، وتوفي سنة ٨٢ هـ . انظر : رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ٨٩) ، والاصابة لابن حجر (جـ : ٢ ، ص : ٥٨) .

(٣) رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ٩١) .

(٤) سوف تأتي ترجمته في الفصل الثالث بشيء من التفصيل باذن الله تعالى .

من المكتب فسأله عن سورته فقال : حولني المعلم من سورة الحمد فقال لـه : اقرأهـا ، فقرأهـا ، فقال له : " تهجها " فتهجاهـا فقال له أبـوه : ارفع ذلك المقعد فرفعه فاذا تحته دنانـيـر دون العشرين وفوق العشرة ، فقال له : ارفعها الى معلمـك ، فرفعهـا اليه فأنكرهـا المعلم على الولد ، وظن بعض الظن وحملها الى عبدالله بن غانـم فقال له عبدالله كالمعتذر : لعلك رددتهـا استقلالا لها ؟ فقال المعلم : ما أتيت لهذا ، وانما ظننت ظنـا فقال القاضي : أتدرى ما علمته يا معلم ؟ كل حرف خير مـن الدنيا وما فيهـا "[1] .

وربما كان المعلم يعلم احتسابا للأجر وطلبا لما عند اللـه تعالى دون أن يأخذ أجرا دنيويا ، ومن هؤلاء أبو علي شقران ابن علي الهمذاني[2] كان يقرئ مجانا في كتاب منسوب اليه فـي القـيروان[3] .

وكان الصبيان يتعلمون في هذه الكتاتيب القرآن بلا ريـب

---

(١) رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ٢١٨) .

(٢) أحد العلماء العباد ، كان كفيف البصر ، عالما بالفرائض ، كثير الوعظ ، توفى سنة ١٨٦ هـ ، انظر : رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ٣١٢) .

(٣) مقدمة حسن حسني عبدالوهاب لكتاب آداب المعلمين ، لمحمد بـن سحنون (ص : ٥٩) .

ذكر المالكي أن اسماعيل بن رباح[1] في صغره يخضر المكتب فاذا حفظ ما في لوحه غسل ما فيه من القرآن في اناء وشربه فهذا كان دأبه حتى ختم.[2]

ولا نجد فيما اطلعنا عليه من نصوص تاريخية نصاً يثبت أو ينفي تعليم علوم أخرى في الكتاب، غير أننا نجد الدكتور حسين مؤنس يذكر بأن الكتاب كان يدرس فيه في هذه الفترة أيضا الحديث والدين واللغة.[3]

وفضلا عن أن الدكتور حسين مؤنس لم يذكر المصدر الذى اعتمد عليه، فان الذى يظهر للمطالع لأول وهلة أن تدريس الحديث كان يتم في حلقات التعليم ولم يكن يكلف به الصبيان الصغار، ولذا وجدنا الأستاذ حسن حسني عبدالوهاب يذكر أن التدريس في الكتاب يقتصر على القرآن الكريم ومبادىء اللغة العربية، وهو ما تميل اليه النفس.[4]

---

(١) اسماعيل بن رباح: أحد العباد، كان معظما لأمر الله عز وجل، لا يكاد يرى منكرا الا غيره ولا يهاب في ذلك أحدا من الناس، كثير المعروف، سكن القيروان، وتوفى سنة ٢١٢ هـ بعد رجوعه من الحج. انظر: رياض النفوس للمالكي (ج:١، ص:٣٣٤).

(٢) رياض النفوس للمالكي (ج:١، ص:٣٣٤).

(٣) فتح العرب للمغرب لحسين مؤنس (ص:٢٩٧).

(٤) انظر: ورقات عن الحضارة العربية بأفريقيا التونسية، لحسن حسني عبدالوهاب، القسم الأول (ص:٧٨).

٣- **المخالطـــــة :**

ان للمخالطـة أثرهـا الواضح في انتشار الاسلام بين غير المسلمين حيث اطلعـوا على سلوك المسلمين وتعاملوا معهم ، فعرفـــــوا بذلك كثيرا من أساسيات الدين الاسلامي الحنيف التي تفتحـــت لها قلوبهم وخضعت لها رقابهم .

وقد يسـر المخالطة بين المسلمين وغيرهم أمور منهـا :

أ) الجهاد : كان الجهاد أحد الأسباب البارزة التي يســـرت الاختلاط بين المسلمين الفاتحين وأهل البلاد الأصليـــين حيث أزال القوى التي تقف في وجه استقرار الفاتحين فـــي البلاد ، وفي وجه اختلاطهم بسكانها . ثم ان أهل البـلاد أنفسهم كثيرا ما شاركوا في القتال مع هؤلاء الفاتحين امـــا عداء منهم للبيزنطيين أو رغبة في مكسب أو مال أو خضوعا لشرط والتزاما باتفاق . وكان هذا الاختلاط - أيا كانـــت أسبابه - عاملا من عوامل اعجابهم بالمسلمين في البداية ثـم ايمانهم بالدين الذى يحملونه في النهاية .

يروى المؤرخون أن حسان بن النعمان رحمه الله لـــم يقبل أمان البربر حتى أعطوه من جميع قبائلهم اثني عشـــر فارسا يقاتلون مع المسلمين فأجابوه وأسلموا على يديه .(١)

---

(١) انظر : رياض النفوس للمالكي (جـ:١ ، ص:٥٦) ، وتاريخ أفريقيـة والمغرب للرقيق القيرواني (ص:٦٤) .

ونكاد نجزم أن حسان بن النعمان رحمه الله أراد بشرطه هذا زيادة على الاستيثاق من عهد البربر والتقوى بهذا العدد من الجند أراد زيادة على ذلك أن يختلط هؤلاء البربر بالمسلمين فيتأثرون بهم ويسلمون فيكون لهذا الاسلام أثره الكبير في اسلام البربر كلهم ، ولا سيما أن هؤلاء الجند من جميع قبائلهم .

يقول د . حسين مؤنس معلقا على هذا العمل : " وكانت تلك خطة موفقة استطاع بها حسان أن يضمن ولاء البربر ، ويحبب اليهم الاسلام ، فالبربر شعب محارب ميال الى الغزو والسلب فأرضاهم اشتراكهم مع المسلمين في الحرب جنبا الى جنب ولم يلبثوا أن أسلموا "(١) .

وقد كان فتح المسلمين للأندلس عاملا من عوامل اسراع من بقي من البربر على دينه الى الاسلام ليتمكن من المشاركة مع المسلمين الفاتحين ، لا سيما وقد كثر مرور الجند من المشرق للمشاركة في فتح الأندلس بهم ، فكان اتصالهم بهم مزيلا لما بقي في نفوسهم من حيرة وتردد(٢) .

---

(١) فتح العرب للمغرب لحسين مؤنس (ص : ٢٧٥) .

(٢) انظر : المصدر السابق (ص : ٢٩٢) .

ب) الهجـــــرات : لم يأت المسلمون الى شمال أفريقيا غزاة محتلين يريدون امتصاص خيرات البلاد ليرسلوها الى بلادهم الأصليـــة وهم أثناء عملهم هذا يعدون أنفسهم غرباء عن البلاد الـــــتي غزوهـا ، وفي أشد الشوق الى العودة الى البلد الذى أتـــوا منه ، كلا ، بل جاء المسلمون لينشروا الاسلام في هذه الربـــوع وهم لهذا السبب مقيمون في هذه الأرض الجديدة ، ستقـــرون فيها ، مختلطون بأهلهـا ، ساعون الى خير بلدهم الجديـــد وعمارتـه وازدهاره .

لهذا فقد هاجرت أفواج كبيرة من المسلمين الى هذه البلاد هجرة دائمة ، وقد كان لهذه الهجرات أثرها الكبير في اختـلاط المسلمين بأهل البلاد وهدايتهم الى الاسلام ، كما كان لكثـــرة المهاجرين أكبر الأثر في تمسك المسلمين المهاجرين بدينهـــم وعدم ذوبانهم في المجتمع الجديد .

يقول حسن حسني عبدالوهاب : " أثناء البعثات العربيـــة لفتح أفريقية نزحت اليها جموع متفاوتة ، فكانت كل بعثـــــة عسكرية تنتهي باستقرار عدد من المهاجرين في هذه البـــلاد ، وهذا ما يفند زعم بعض المؤرخين الذين يرون أن الجنس العربي لم يكثر عدده في تونس الا أثناء غزوة بني هلال "(١) .

---

(١) ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية ، لحسن حسني عبـــد الوهاب ، القسم الثالث (ص : ٢٥٢) .

ولسنا بحاجة الى جهد كبير لنتعرف من كتب التاريخ على عشرات الأعلام الذين كان أصلهم من المشرق ، ثم استقروا في شمال أفريقيا وكانت وفاتهم بها (١) .

وقد خلف هؤلاء المهاجرين خلف ساروا على نهجهم وتوالت الأجيال التي ساهمت في صبغ شمال أفريقيا بالصبغة الاسلامية .

جـ) المشاريع الحيوية :

في ولاية عقبة رحمه الله تعالى الأولى اختط مدينة القيروان وكان اختطاطها أمرا بالغ الأهمية ، اذ كان المسلمون قبل تأسيسها يخرجون من مصر أو من برقة الى شمال أفريقيا فيغزون ويغنمون ثم يعودون دون أن يخلفوا في البلاد أثرا كبيرا ، وفي كثير من الأحيان يرتد عن الاسلام بعض من أسلم من البربر ، فكان لتأسيس القيروان أثره في توطن المسلمين في شمال أفريقيا واستقرارهم فيها ، ومن ثم مخالطتهم لأهلها واتصالهم بسكانها وانتشار الاسلام بينهم تبعا لذلك (٢) .

يقول الدكتور حسين مؤنس مصورا أهمية قيام القيروان : " استتبع انشاء القيروان نتائج على درجة عظيمة من الأهمية ... اذ لم يكد يتم تخطيطها حتى ظهرت " ولاية المغرب " ، واتضحت

---

(١) انظر : على سبيل المثال : رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ١٣١ ، ص : ١٣٧ ، ص : ١٣٨ ، ص : ١٥٢) .

(٢) انظر : فتح العرب للمغرب لحسين مؤنس (ص : ١٤٠) .

خاصيتها بعض الشيء وبدأت أنظار العرب تتجه اليها اذ أصبح فيها عاصمة يتبعها الاقليم المحيط بها ، وقام بها مسجد جماعة يخطب فيه باسم أمير المؤمنين ، ونزلتها طوائف من المسلمين فأصبح الخليفة مكلفا رسميا بالدفاع عنها وحماية أهلها "(١) .

وقد كان بناء القيروان أمرا له أهميته ليس من الناحية الرسمية فحسب ، ولكن من الناحية الشعبية أيضا ، يقول د.محمد طه الحاجري : " ويعتبر بناء مدينة القيروان سنة ٥١ للهجرة من الأعلام البارزة في تعرب الشمال الأفريقي ، فقد بنيت لتكون مدينة اسلامية عربية تجتمع فيها وجوه النشاط الاسلامي ، فلم يكد عقبة بن نافع يفرغ من اقامة سورها وبناء ما رأى بناءه بها من مساجد ومساكن ، حتى شد الناس المطايا من كل بلد اليها وعظم قدرها " ، كما يقول ابن عذارى : وهكذا لم يكن بناؤها حاجة عسكرية في عملية الفتح وتنظيمها فحسب يأوي الجند اليها وينتشرون منها ، وترسم الخطط فيها ، وانما كانت مع ذلك نواة للنشاط الاسلامي العربي في أفريقيا ومركزا دينيا وثقافيا تنتشر منه تعاليم الاسلام ومبادئه ، واللغة العربية وثقافتها ، وتتيح لهذا المجتمع الجديد المؤلف من العرب والبربر ألوانا من الاتصال والمشاركة في الحياة ، وتولد العوامل المختلفة التي تلائم بينه وتربط بين عناصره في أسواقها ومساجدها "(٢) .

---

(١) فتح العرب للمغرب لحسين مؤنس (ص : ٢٧٠) .

(٢) دراسات وصور من تاريخ الحياة الأدبية في المغرب العربي ، للدكتور محمد طه الحاجري (ص : ٣٧) .

ولم تكن القيروان هي المدينة الوحيدة التي عمرها المسلمون والتي يسرت المخالطة بين المسلمين وغيرهم ، ففي ولاية حسان ابن النعمان بنيت مدينة تونس ، وكان هدفه من بنائها في البداية أن تكون ميناء حربيا للمسلمين وحصنا قويا أمام هجمات الروم البحرية ، فاختار موقع المدينة الى جانب بحيرة صغيرة قريبة من البحر ، ثم وصل بين البحيرة والبحر ، وأعمل يده في البحيرة لتكون صالحة لسير السفن الى أن تصل الى المدينة ، ثم أسس في هذه المدينة " دار الصناعة" لصناعة السفن والمراكب الحربية (١) .

وكانت دار الصناعة هذه أيضا مشروعا حيويا يسهل عملية الاتصال بين المسلمين وغيرهم .

ومن المدن الاسلامية التي أسست في هذه الفترة مدينة " فاس" التي أسسها ادريس الثاني الأمير الثاني من أمراء الدولة الادريسية عام ١٩٢ هـ (٢) ، والتي كانت هي الأخرى مركز اشعاع علمي ودعوي .

ولا يعني بذكرنا لهذه المدن فحسب أن المخالطة بين

---

(١) انظر : فتح العرب للمغرب لحسين مؤنس (ص : ٢٦٠) ، وخلاصة تاريخ تونس لحسن حسني عبدالوهاب (ص : ٥١) .

(٢) سوف تأتي ترجمته بشيء من التفصيل باذن الله في الفصل الثالث .

المسلمين وغيرهم ، وتأثر غير المسلمين بالاسلام لم يتما الا عن طريقها ، وانما نعني أن المخالطة بها كانت أقوى ، والتأثر بالمسلمين عن طريقها كان أظهر لكونها مدنا اسلامية خالصة كانت مصدر اشعاع علمي وديني كبيرين يدل لذلك كثرة من نسب اليها من العلماء والزهاد والدعاة (١) .

ومن المشاريع الحيوية التي يسرت الاختلاط والامتزاج وتأثير المسلمين في البربر وتأثر البربر بالمسلمين ما قام به عبدالرحمن ابن حبيب الفهرى (٢) آخر وال لبني أمية على شمال أفريقيا من حفر لسلسلة من الآبار التي تصل بين واحات أفريقيا الداخلية وبين مدينة " أودغشت " (٣) بصحراء المغرب الأقصى ، وبهذا أصبح الطريق ممهدا أمام قوافل التجارة للتوغل في غرب أفريقيا عبر

---

(١) لتدرك كثرة من نسب الى مدينتي القيروان وتونس من العلماء . انظر : كتاب رياض النفوس للمالكي . ولتعلم كثرة من نسب الى مدينة فاس من العلماء أيضا ، أنظر : كتاب جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس ، تأليف : أحمد بن القاضي المكناسي .

(٢) هو : عبدالرحمن بن حبيب بن أبي عبدة بن عقبة بن نافع الفهرى تغلب على شمال أفريقيا ودعا لنفسه فبايعه الناس سنة ١٢٧ هـ ، فكتب اليه مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين بولايته عليها ، فلما سقطت الدولة الأموية أرسل اليه أبو جعفر المنصور يدعوه الى الطاعة فأجابه في البداية ، ثم خلعه ، قتله أخوه الياس سنة ١٣٨ هـ . انظر : البيان المغرب لابن عذارى (جـ:١ ، ص: ٦٠) .

(٣) أودغشت : مدينة قديمة في شمال غربي أفريقيا لم يبق لها أثر ، يقول البكرى : انها كانت بين بلاد الزنوج وبين سجلماسة على مسيرة ٥١ يوما من واحة سجلماسة ، و ١٥ يوما من غانة ، ويفترض أنها كانت جنوب غربي "تجكة" وهي موقع حربي في موريتانيا الفرنسية . انظر : دائرة المعارف الاسلامية لمجموعة من المستشرقين (جـ:٣ ، ص: ١١٣) .

الصحراء بعد أن كان الطريق الوحيد للتجارة هو طريق الساحل.[1]

د) الـــــــــرق :

من أعراف الحرب الشائعة في الزمن القديم استرقاق الأسرى ، ولما كانت بداية استقرار المسلمين في شمال أفريقيا بداية حربية خالصة فقد كثر الأسرى من البربر خاصة ، وكان عدد كبير منهم يرسل الى المشرق في عداد الغنائم[2] ، وكان عدد منهم يبقى رقيقا عند المسلمين الفاتحين .

كان هؤلاء الرقيق يعملون في خدمة أسيادهم ، وهم أثناء ذلك يختلطون بهم ويتعلمون منهم ، وكثيرا ما ينتهي بهم الأمر الى اعتناق الدين الاسلامي الحنيف ، كما أن الكثير منهم يستعيدون حريتهم فيعتقهم أسيادهم بعد أن يكونوا قد ربحوا ايمانا راسخا بدين الاسلام .

ونستطيع أن نضرب المثل بشخصين اثنين شارك أحدهما في الحياة العلمية ، وشارك الآخر في الحياة السياسية ، أما الأول فهو : عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنه ، فانه بربري من سبي أفريقيا[3] .

---

(١) انظر : تاريخ فلسفة الاسلام في القارة الأفريقية ، الجزء الأول ، في الشمال الأفريقي ، للدكتور يحيي هويدى (ص : ١٤٥) .

(٢) انظر مثلا : رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ٥٧) .

(٣) انظر المصدر السابق (جـ : ١ ، ص : ١٤٦) ، وعكرمة هو : عكرمة بن عبدالله مولى ابن عباس ، أصله بربرى . ثقة ثبت عالم بالتفسير ولا يثبت عنه بدعة ، روى عنه الجماعة ، توفى سنة ١٠٧ هـ ، وقيل بعد ذلك . انظر : تقريب التهذيب لابن حجر (جـ : ٢ ، ص : ٣٠) .

وذكر صاحب رياض النفوس أنه " دخل أفريقية وأقام بالقيروان (١)
وبث بها العلم وكان مجلسه في مؤخر جامع القيروان " .

وأما الآخر فهو : طارق بن زياد البربرى مولى موسى بن (٢)
نصير وعامله على طنجة ، وقد كان من كبار القواد ، ومن الذين (٣)
أبلوا في الجهاد بلاء حسنا .

وفيما يخص الرقيق من النساء ، فان أسيادهن ربما اتخذوهن سراري ، وقد كان لهذا التسرى أثره في اختلاط العرب بالبربر وتمتين العلاقات وتقوية الأواصر بين الفريقين ، يوضح ذلك ما ذكرته كتب التاريخ من أن ادريس بن عبدالله المؤسس الأول للدولة (٤)
الادريسية كان له أمة بربرية حامل تدعى " كنزة " فلما توفى ادريس انتظر أشياعه حتى وضعت بعد موته بشهرين ولدا سموه " ادريسا " ، فلما بلغ الحادية عشرة من عمره بايعته عامة قبائل

---

(١) رياض النفوس للمالكي (جـ: ١ ، ص : ١٤٦) .

(٢) هو : طارق بن زياد ، أصله من البربر ، أسلم على يد موسى بن نصير ولاه موسى بن نصير طنجة سنة ٨٩ هـ ، فلما كانت سنة ٩٢ هـ ولاه موسى قيادة جيش لفتح الأندلس ، فشارك في فتحها مشاركة قوية ، توفى سنة ١٠٢ هـ . انظر : الأعلام لخير الدين الزركلي (جـ: ٣ ، ص: ٢١٧) .

(٣) انظر : دراسات وصور للدكتور محمد طه الحاجرى (ص : ٣٦) .

(٤) هو : ادريس بن عبدالله بن الحسن الهاشمي ، مؤسس الدولة الادريسية في المغرب الأقصى سنة ١٧٢ هـ ، توفى سنة ١٧٧ هـ .
انظر : الأعلام للزركلي (جـ: ١ ، ص : ٢٧٩) .

البربر وأعلنت الخضوع له ، ولا شك بأن قرابتها له من جهة أمه كانت سببا من أسباب التفافها حوله .

وقد كان ادريس الثاني هذا هو المؤسس الحقيقي للدولة الادريسية التي كان لها دور كبير في نشر الاسلام في المغرب الأقصى ، والتي قامت بحركة جهادية كبيرة ، نشرت الاسلام في تلك الأنحاء[1] .

هـ) الساخطون على الحكم الأموي :

كان الثائرون على الدولة الأموية والغاضبون عليها يفرون الى أنحاء الدولة البعيدة ، ويعتصمون بمناطقها النائية ، ويحاولون أن يكسبوا ود سكان هذه المناطق ، وينالوا تأييدهم وحمايتهم حتى ينجوا من مطاردة الأمويين لهم ، وكان شمال أفريقيا من المناطق التي كثر التجاء هؤلاء الفارين اليها لكثرة قبائلها وسعة أرجائها ، وعن هذا الطريق نشأت الحركات المتعددة في شمال أفريقيا ، والتي كانت عظيمة الأثر في انتشار الاسلام بين أهل البلاد حيث انبث دعاتها بين القبائل وعملوا على نشر الاسلام بينها[2] . واستطاع عدد من هؤلاء الفارين أن يؤسسوا لهم دولا مستقلة كما هو الحال في بداية تأسيس الدولة الادريسية حيث كان مؤسسها ادريس بن عبدالله مطاردا من الحكم الأموي .

---

(١) انظر : تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، للدكتور حسن ابراهيم حسن (جـ٢ ، ص : ٢٢٥) .

(٢) انظر : فتح العرب للمغرب ، لحسين مؤنس (ص : ٢٩٢) .

- المبحث الثاني -

(أساليب الدعوة)

أولا : الدعوة بالقدوة :

ان ما يلفت نظر المطالع كثرة من دخل شمال أفريقيا من الصحابة والتابعين ، وكثرة من اشتهر بها من العلماء والزهاد والمجاهدين وهذا يدل على توفر النماذج القدوة التي تتمثل بهـا المبادىء الاسلامية واقعا ملموسا يراه الناس ويحسونه ، فيتأثرون به ويكيفون سلوكهم على ضوئه .

وقد بلغ من كثرة الصحابة المشاركين في حملة عبدالله بن سعد بن أبي السرح رضي الله عنه أن وجد في الجيش من يسمى عبدالله سبعة أشخاص ، حتى لقد سميت تلك الغزوة بغزوة العبادلة السبعة . وهؤلاء السبعة هم : عبدالله بن سعد بن أبي السرح ، وعبدالله بن الزبير بن العوام ، وعبدالله بن عباس ابن عبدالمطلب ، وعبدالله بن جعفر (١) ، وعبدالله بن عمر بن الخطاب ، وعبدالله بن مسعود ، وعبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم .

---

(١) عبدالله بن جعفر بن أبي طالب : ولد بأرض الحبشة لما هاجر أبواه اليها ، روى عن النبي صلّى الله عليه وسلّم وعن أبيه وعمه علي ، وعن أبي بكر وعثمان وغيرهم ، مات سنة : ٨٠ هـ على المشهور .
الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (جـ:٢ ، ص: ٢٨٩) .

بل ان جميع قادة الحملات كانوا من الصحابة أو من التابعين فعمرو بن العاص وعبدالله بن سعد بن أبي السرح ومعاوية بن حديج وزهير بن قيس البلوى رضي الله عنهم صحابة ، وعقبة بن نافع وأبو المهاجر دينار وحسان بن النعمان وموسى بن نصير رحمهم الله تعالى تابعيون (١) .

واذا كان هؤلاء الأفراد قد بلغوا القمة في تمثيلهم للاسلام فصاروا قدوة يقتدى بهما المسلمون ويتأثر بسلوكها من لم يتشرف بعد بدخول الاسلام ، فان المجتمع الاسلامي الناشيء ككل وهو مكون من هؤلاء الأفراد المتميزين يمثل مجتمعا متميزا بسلوكه وتعامله مما لفت أنظار غير المسلمين الى الاسلام ، وكان بلا شك سببا من أسباب اعتناقهم له واقبالهم عليه ، يدل لذلك وصف عبدالله بن الزبير رضي الله عنه حال جيش المسلمين وجيش جرجير لأهل المدينة بقوله : " فبتنا وباتوا وللمسلمين دوى كدوى النحل وبات المشركون في ملاهيهم وخمورهم " (٢) .

والحوادث الفردية التي تمثلت بها الدعوة بالقدوة كثيرة ، نذكر منها أن أبا زمعة البلوى رضي الله عنه أمر من حوله حين حضرته (٣)

---

(١) انظر : كتاب تاريخ فلسفة الاسلام في القارة الأفريقية ، الجزء الأول ، في الشمال الأفريقي ، للدكتور يحيي هويدى (ص : ١٥٣) ، فقد جمع عددا كبيرا من أسماء الصحابة والتابعين الذين دخلوا شمال أفريقيا .

(٢) رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ٢٦) .

(٣) قيل : اسمه عبيد بن أرقم ، كان من أصحاب الشجرة ، سكن مصر ، وسار الى أفريقيا في غزوة معاوية بن حديج . انظر : أسد الغابة لابن الأثير (جـ : ٥ ، ص : ٢٠٠) .

الوفاة أن يسووا قبره بالأرض[1] ، وغير خاف أن أمره هذا وقد حضرته الوفاة أبلغ في التحذير من رفع القبور من ألف خطبة وموعظة .

وكان أبو رشدين بن حنش بن عبدالله السبائي الصنعاني كثير الصدقة لا يرد سائلا[2] .

وكان اسماعيل بن عبيدالله بن أبي المهاجر يتوسد ذراعه فينام عليه ، وكان هو وأم ولده وفرسه في بيت واحد زهدا في الدنيا[3] .

وكان أبو سنان الأسدى لا يتكلم أحد في مجلسه بغيبة أحد فاذا أراد أحد أن يفعل ذلك نهاه وأسكته[4] .

وأراد اسماعيل بن رباح أن يشترى دابة من القيروان فقيل له : انهم يأخذون ربع درهم على الباب ، فرجع وقال : " والله لا أشترى من ها هنا وليس بي ما ذكرتم ولكن يقال فلان أعطى حق الباب فيرون أنه حلال "[5] .

---

(١) انظر : رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ٨٤) .
(٢) المصدر السابق (جـ : ١ ، ص : ٢٢) .
(٣) المصدر السابق (جـ : ١ ، ص : ١١٧) .
(٤) المصدر السابق (جـ : ١ ، ص : ٣٨٨) .
(٥) المصدر السابق (جـ : ١ ، ص : ٣٣٧) .

وهكذا نجد في أعلام ذلك المجتمع من العلماء والزهاد من صفات الورع والزهد والعبادة والحرص على نشر العلم ودعوة الناس ما تضيق عن ذكره الصفحات ، نجد ذلك في سير عبدالرحمن ابن زياد وعبدالله بن فروخ والبهلول بن راشد وعبدالله بن غانم وعلي بن زياد وأسد بن الفرات وسحنون بن سعيد ورباح ابن يزيد وشقران بن علي الغرضي (١) ، رحمهم الله ، وغيرهم .

ثانيا : الدعوة بالوعظ :

الوعظ (٢) : هو تخويف يرق له القلب .

والوعظ أسلوب من أساليب الدعوة وطريقة من طرائقها ، عن العرباض بن سارية رضي الله عنه أنه قال : صلّى بنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة

---

(١) سوف تأتي تراجم هؤلاء الأعلام بشيء من التفصيل في الفصل الرابع باذن الله ، الا الأخيرين منهما .
أما الأول : فهو رباح بن يزيد ، اشتهر بالفضل والزهد ، وكان يضرب به المثل في العبادة ، رقيق القلب ، غزير الدمعة ، كثير الاشفاق والخشية والتواضع ، توفي سنة ١٧٢ هـ ، وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ، حضر جنازته يزيد بن حاتم والي أفريقيا ، وازدحم الناس على نعشه من صلاة الظهر الى صلاة العصر ، فلما رأى ذلك يزيد قال : " معاشر الناس ، ان كنتم مزدحمين فازدحموا على عمله ولا تزدحموا على جسمه " ، وأمر الشرط بحمل النعش . انظر رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ٣٠٠) .
وأما الثاني : فقد سبقت ترجمته .

(٢) كتاب القصاص والمذكرين لأبي الفرج ابن الجوزي (ص : ١١) .

ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ، فقال قائل : يا رسول الله ، كأن هذه موعظة مودع ، فماذا تعهد الينا ؟ قال : (أوصيكم بتقوى اللـــه)[1] ... الحديث .

وليس للوعظ مكان محدد أو زمان معين يقال فيه ، بل يمكن أن يقال في كل مكان وفي جميع المناسبات حسب الحاجة ، فقد يكون بين شخصين على انفراد ، وقد يكون من شخص واحـــد لمجموعة كبيرة من الناس ، وسواء كان ذلك دون مناسبة أو فـــي احدى المناسبات .

وقد كان الوعظ أسلوبا مستخدما في الدعوة الاسلامية في شمال أفريقيا يدل لذلك كثرة ما نجده مرويا من مواعظ ترقق القلـــوب ، وتلين النفوس .

وكان للوعظ مجالس تقام في المساجد ، يدل على ذلك ما رواه المالكي أنه قيل للبهلول بن راشد : أرأيت هذه القراءة التي تقرأ عندك ، أشيء رويته عن السلف فنرويه عنك أم شيء رأيته ؟ فقال : ما أخذته عن أحد الا أني كنت عند معلمي أخيط وكان يرسلـــني فكنت أمر على مسافر بن سنان[2] في المسجد الجامع وهو يذكر الناس

---

(١) رواه أبو داود ، واللفظ له (جـ : ٥ ، ص : ١٣) أشرف على طبعه : عزت عبيد الدعاس ، والترمذي (جـ : ٧ ، ص : ٣١٩) وقال : حديث حســن صحيح ، وابن ماجة (جـ : ١ ، ص : ١٥) .

(٢) مسافر بن سنان الواعظ ، كان رجلا صالحا يجتمع اليه الناس للذكر والمواعظ فانتفع به جماعة منهم . قال المالكي : ولم أحد لمسافر هذا خبرا ولا أثرا أنقله عنه . رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ٢٠٠) .

وبعظهم ، وقوم من القراء يقرؤون فأقف عليه وأستحلي سماع ذلك ، فحاسبت نفسي وقلت : لا يسوغ لي هذا ولا يسعني ذلك ، لأني ستأجر ، فكنت آخذ من معلمي طريحة[1] أعملها بأجرة معلومة ، وأسقطت العمل بالأيام ، فكنت أعمل طريحتي فاذا فرغت منها مضيت الى مجلس سافر ، فأسمع ما يجرى في مجلسه من المواعظ والذكر ، فانتفعت بذلك وبقيت حلاوة تلك المجالس في قلبي الى الآن "[2] .

فمن المواعظ التي ترويها كتب الرجال ما ذكره صاحب رياض النفوس عن حنش بن عبدالله الصنعاني أنه قال : " غزونا المغرب وعلينا رويفع بن ثابت ، فافتتحنا قرية يقال لها " جربة " فقام فينا رويفع بن ثابت خطيبا فقال : " اني لا أقوم فيكم الا بما سمعت من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قام فينا يوم خيبر يوم افتتحناها فقال : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس ثوبا من فيء المسلمين حتى اذا أخلقه رده فيه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يركبن دابة من فيء المسلمين حتى اذا أعجفها ردها فيه)[3] ".

---

(١) الطريحة : عدد محدود من الشغل . انظر : رياض النفوس للمالكي (ج : ١ ، ص : ٢٠٠) تعليق المحقق .

(٢) المصدر السابق (ج : ١ ، ص : ١٩٩) .

(٣) المصدر السابق (ج : ١ ، ص : ٨١) .
والحديث : رواه أبو داود في سننه (ج : ٢ ، ص : ٢٤٨) - مراجعة وضبط محمد محي الدين عبدالحميد - ، والدارمي (ج : ٢ ، ص : ٢٣٤) . /=

ومن ذلك ما ذكره المالكي عن أبي عبدالرحمن الجبلي أنه قال : " مثل الذى يجتنب الكبائر ويقع في المحقرات كمثل رجل لقيه سبع فاتقاه حتى نجا منه ثم لقيه فحل ابل فاتقاه حتى نجا منه ثم لقيه فحل خيل فكذلك حتى نجا ، ثم لدغته نملة فأوجعته فتهاون بها وقد أوجعته ثم أخرى ثم أخرى ثم اجتمعن عليه فصرعنه "[1] .

ومن ذلك ما ذكره المالكي أنه : " كان عند البلهلول شاب يطلب عليه العلم ثم أقبل على المجانة فأعظم البهلول بذلك فساءه ما بلغه ، فبينما هو يوما جالس اذ خطر به الشاب وتحت ثوبه طنبور فقيل للبهلول : " انظر أصلحك الله اليه والى ما تحت ثوبه " فتأمله البهلول فعرف تصديق ما قالوا ، فقال للقائل :

/= ولفظهما :" من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يركب دابة من فيء المسلمين حتى اذا أعجفها ردها فيه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس ثوبا من فيء المسلمين حتى اذا أخلقه رده فيه " .
قال عبدالقادر الأرناؤوط عن سند أبي داود : فيه عنعنة ابن اسحاق جامع الأصول لابن الأثير (جـ : ٢ ، ص : ٧٢٩) .
ورواه الامام أحمد (جـ : ٤ ، ص : ١٠٨) بلفظ قريب من لفظ أبي داود ، والدارمي قال شعيب الأرناؤوط عن الحديث : سنده قوى فقد صرح ابن اسحاق بالتحديث عند أحمد . شرح السنة للبغوى (جـ : ١١ ، ص : ١٢٣)

(١) رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ١٠١) .

" لعله انما ذهب به ليكسره " ، فلما كان بعد ذلك بقريب مضى البهلول بنفسه الى دار الشاب فقرع الباب ، فقالت أمه : " من هذا ؟ " ، فقال لها : " بهلول " ، وقالت له : " ما تريد " ، قال : " ولدك " ، فلم يزل به حتى خرج عليه الشاب فسلم البهلول عليه وقال له : " يا ابن أخي مالك اشتغلت عنا ؟ ، أكل هذا زهادة منك في الخير ؟ ، وأخذ يعظه ويرقق قلبه ، ويتعاهده بذلك حتى رجع الفتى عما كان عليه من المجانة وعاود مجلس البهلول وكان له شأن " (١) (٢) الى غير ذلك من المواعظ .

ثالثا : الدعوة بالتعليم :

لقد كان التعليم أحد أساليب نشر الدعوة سواء كانت الدعوة بين المسلمين أو بين غير المسلمين ، وقد تمثلت جهود الدعوة عن طريق التعليم بأمور منها :

١- البعثات العلمية : حرص المسلمون ومنذ اللحظات الأولى التي وطئوا فيها تراب شمال أفريقيا على تعليم الاسلام فوصلت بعثات التعليم الى أقصى المغرب قبل أن يستقر الفتح . يقول ابن عذارى المراكشي متحدثا عن فتح عقبة للمغرب الأقصى: " وقد كان عقبة بن نافع الفهرى ترك فيهم بعض أصحابه

---

(١) رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ٢٠٩) .

(٢) انظر على سبيل المثال : رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص: ١٠٤ ، و ص : ١٢٠ ، ص: ٣٠٦ ، ص: ٣٠٧ ، ص : ٣٢٩ ، ص : ٣٨٨) .

يعلمونهم القرآن والاسلام منهم : شاكر صاحب الرباط وغيره"[1].

وفيما يتعلق بالمغرب الأقصى يقول ابن عذارى ذاته متحدثا عن موسى بن نصير : " وترك موسى بن نصير سبعة عشر رجلا من العرب ليعلمونهم القرآن وشرائع الاسلام"[2] .

وقد كان للبعثة العلمية المشتملة على عشرة أشخاص والتي أرسلها عمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى لتعليم أهل شمال أفريقيا الحلال والحرام ودعوتهم الى الاسلام أبلغ الأثر في انتشار الاسلام وهؤلاء العشرة هم :

١- أبو عبدالرحمن الحبلي[3] .

٢- أبو مسعود سعد بن مسعود التجيبي[4] .

٣- اسماعيل بن عبيد الأنصاري[5] .

---

(١) البيان المغرب لابن عذارى (جـ : ١ ، ص : ٤٢) .

(٢) المصدر السابق (جـ : ١ ، ص : ٤٢) .

(٣) كان رجلا صالحا فاضلا ، يروى عن عبدالله بن عمرو وأبي أيوب الأنصاري وغيرهم ، توفى بالقيروان سنة ١٠٠ هـ . رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ١٠٠) .

(٤) كان رجلا فاضلا قليل الهيبة للملوك ، روى عن أبي الدرداء وغيره رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ١٠٢) .

(٥) يعرف بتاجر الله ، من أهل العبادة والنسك ، كثير الصدقة ، مع علم وفقه ، سكن القيروان ، وانتفع به خلق كثيرون ، وهو الذى بنى مسجد الزيتونة ، توفى سنة ١٠٧ هـ . رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ١٠٦) .

٤- أبو الجهم عبدالرحمن بن رافع التنوخي (١) .

٥- موهب بن حي المعافري (٢) .

٦- حبان بن أبي جبلة القرشي (٣) .

٧- أبو تمامة بكر بن سوادة الجذامي (٤) .

٨- أبو سعيد جعثل بن هاعان (٥) .

٩- أبو عبدالحميد اسماعيل بن عبيدالله بن أبي المهاجر القرشي (٦) .

١٠- طلق بن جابان ، ويقال ابن جعبان الفارسي (٧) .

---

(١) هو أول من استقضي بالقيروان بعد فتحها ، سكن القيروان وانتفع به خلق كثير ، توفي بالقيروان سنة ١١٣ هـ .
انظر : رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ١١٠) .

(٢) روى عن ابن عباس وغيره ، سكن القيروان ، وتوفي بها .
رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ١١٠) .

(٣) روى عن ابن عباس وعمرو بن العاص وابنه عبدالله ، سكن القيروان توفي سنة ١٢٥ هـ .
رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ١١١) .

(٤) كان فقيها ، روى عن جماعة من الصحابة منهم : عقبة بن عامر وسفيان بن وهب ، ومن التابعين سعيد بن المسيب والزهري وغيرهما ، سكن القيروان ، وتوفي بها سنة ١٢٨ هـ .
رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ١١٢) .

(٥) روى عن أبي تميم الجيشاني ، ولي قضاء الجند بافريقية ، وتوفي في أول خلافة هشام بن عبدالملك .
رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ١١٤) .

(٦) سوف تأتي ترجمته بشيء من التفصيل في الفصل الثالث ان شاء الله .

(٧) يروى عن أبي سلمة بن عبدالرحمن ، وأبو سلمة تابعي ، روى عنه موسى بن علي وعبدالرحمن بن زياد وغيرهما .
رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ١١٧) .

وقد كان أثر هؤلاء التابعين في نشر الاسلام كبيرا ، بل وفي تفقيه المسلمين وتعليمهم الحلال والحرام ، فقد كان عامة الناس لا يعرفون بأن الخمر حرام حتى جاء هؤلاء العشرة فبينوا حرمتها رحمهم الله تعالى .(١)

وقد أقام معظم هؤلاء العشرة في القيروان ، حيث اختط كل واحد منهم دارا ليسكنها وبنى بقربها مسجدا ، وجعل بقربه كتابا لتحفيظ القرآن وتلقين مبادىء العربية لصغار المتعلمين .(٢)

٢- الرحلة الى المشرق : كان المتعلمون من أبناء شمال أفريقيا اذا قضوا حاجتهم من طلب العلم على علماء بلادهم تطلعوا الى طلب العلم على غيرهم في البلاد الأخرى ، وكثيرا ما تصل بهم الرحلة في طلب العلم الى بلاد المشرق .

كانت الرحلة في الغالب تتجه الى الحرمين الشريفين وتمر في طريقها اليهما وفي طريق الرجعة منهما بمصر ، وربما زادت الرغبة في طلب العلم بنفر منهم فارتحل الى العراق كذلك . فمن الذين رحلوا الى المشرق مثلا البهلول

---

(١) انظر : البيان المغرب لابن عذارى (ج:١ ، ص:٣٤) .

(٢) انظر : ورقات عن الحضارة العربية بافريقيا التونسية ، لحسن حسني عبدالوهاب ، القسم الأول (ص:٧٨) .

ابن راشد ، وعبدالله فروخ ، وعبدالله بن غانم ، وقد لقوا الامام مالكا في المدينة ، كما لقي عبدالله بن فروخ وعبدالله بن غانم عددا من علماء مدرسة الرأى حيث ارتحلا الى العراق ، بينما لم يرتحل اليها البهلول .

٣- حلقات التعليم : كان في ذلك العهد حلقات يتعلم بها الطلاب ويسمعون فيها على مشايخهم ، ذكر صاحب رياض النفوس أن عكرمة مولى ابن عباس دخل أفريقيا وأقام بالقيروان وبث بها العلم ، وكان مجلسه في مؤخر جامع القيروان .(١)

وقل أن يوجد عالم من العلماء الا وله حلقة ينشر فيها العلم ، كان كذلك البهلول بن راشد وعبدالله بن فروخ وعبدالرحمن بن زياد وعلي بن زياد وأسد بن الفرات وسحنون ابن سعيد وغيرهم .(٢)

وكانت هذه الحلقات في المساجد غالبا ، يدرس فيها التفسير والحديث والفقه .

ولم تكن هذه الدروس مقصورة على أفراد دون آخرين ، بل كان حضورها ممكنا لكل من أراد الدرس والتحصيل . ذكر المالكي أن أسد بن الفرات كان يختلف اليه شاب يطلب عليه العلم ، فبينما هو ذات يوم جالس معه اذ سأله عن صناعته ،

---

(١) انظر : رياض النفوس للمالكي (جـ:١ ، ص:١٤٦) .

(٢) سوف تأتي تراجمهم بشيء من التفصيل في الفصل الثالث باذن الله تعالى .

فسمى له الشاب صناعته . فقال له أسد : قم . بانتهار . فقال له الشاب : ما قصتي أصلحك الله ؟ ان كنت أنكرت صناعتي تركتها ، فقال أسد : ما أنكرتها ولكني أنكرت تعطيلك لحانوتك الذى منه معاشك وتقوى به على طلب العلم . وصاحب الحانوت انما هو بالحرفاء فاذا جاء حريفك اليوم ولم يجدك وغدا فلم يجدك وبعد غد مثل ذلك استبدل بك غيرك فضررت نفسك ومن تعوله ولكن ان عزمت فاجعل لنفسك يوما أو يومين في الجمعة يعلم حرفاؤك بمغيبك عن حانوتك في ذلك اليوم أو اليومين فيأخذون ما يحتاجون اليه قبل مغيبك .

ثم قال له أسد : انظر الى هؤلاء الذين يأتون انما هم أهل حرث وحصاد فاذا كان وقت حرثهم وحصادهم لم تر منهم أحدا يجيء الينا ، فاذا انقضى حرثهم وحصادهم عادوا الى ما كانوا فيه (١) .

٤- الكتب :

كان للكتب دورها في انتشار العلم والاسلام ، فقد دخل كتاب الله تعالى مع المسلمين الفاتحين بلا ريب ، فاسماعيل بن عبيد (٢) مثلا خرج في مركب للجهاد فغرق وهو متقلد المصحف .

---

(١) رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ٢٦٩) .

(٢) انظر المصدر السابق (جـ : ١ ، ص : ١٠٧) .

كما دخلت كتب الحديث ، فقد ذكر المالكي أن أول من أدخل "الموطأ" و" جامع سفيان الثورى" الى المغرب هو علي ابن زياد الافريقي (١) .

ثم جاء بعد ذلك أسد بن الفرات فأظهر الكتب وأسمعها الناس وانتشرت انتشارا واسعا (٢) .

وقد اشتهر في ذلك الوقت "الأسدية" نسبة الى أسد بن الفرات وهي أسئلة عرضها على عبدالرحمن بن القاسم (٣) في مصر فأجاب عنها رواية عن مالك ودونها عنه أسد .

ثم ذاعت المدونة لسحنون بن سعيد ، وهي الأسدية التي لأسد بن الفرات (٤) ، غير أنه صححها علي عبدالرحمن بن القاسم .

* **التعليم في القرى والبوادى :**

ونريد أن نختم كلامنا عن التعليم بالحديث عن التعليم في البوادى والقرى فنقول : كان المتعلمون من أهل شمال أفريقيا

---

(١) رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ٢٣٤) .

(٢) انظر المصدر السابق (جـ : ١ ، ص : ٢٦٢) .

(٣) هو : أبو عبدالله عبدالرحمن بن القاسم المصرى الحافظ الحجة الفقيه ، صحب الامام مالك عشرين سنة ، وتفقه به ، وهو أثبت الناس في الامام مالك وأعلمهم بأقواله . انظر : شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد بن محمد بن مخلوف (ص : ٥٨) .

(٤) انظر : رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ٢٦١ و ٢٦٣ و ٣٤٨) .

يقضون بعض الوقت في الدراسة بالمدن العامرة بالعلماء كالقيروان ثم يعودون الى بلادهم وقبائلهم فيقولون الفتوى وتعليم النـــاس أصول الاسلام ، ذكر المالكي في حديثه عن سيرة أسد بن الفرات أنه ولد بتونس سنة ١٤٥ هـ ، وطلب العلم ثم أقرأ القرآن في بعض قرى بجـــردة (١) .

وقد كان بعض سكان القرى البادية يترددون على المـــدن العامرة فيحضرون مجالس العلماء ثم يعودون الى بلادهم (٢) .

وقد كان مرور الجيش الاسلامي في طريقه للفتح بالقـــرى والبوادى عاملا من عوامل تعلم أهل المناطق الداخلية من بـــواد وقرى للاسلام فأول من علم القرآن في جبل نفوسه عمر بن يمكـــن وانما تعلم القرآن بكونه يتلقى السابلة والمارة من المشرق فيكتـــب عنهم شيئا من القرآن وينصرف الى منزله ، فاذا حفظ ما فيه رجـع الى الطريق فيكتب من المارة كذلك حتى حفظ القرآن (٣) .

يقول حسن حسيني عبدالوهاب : وكان عمر بن يمكتن يعيش في أوائل الدولة العباسية في حدود سنة ١٤٠ هـ (٤) .

---

(١) انظر : رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ٢٥٥) ، وبجردة : كمـــا عرفها محقق الكتاب من أشهر أنهار البلاد التونسية .

(٢) انظر المصدر السابق (جـ : ١ ، ص : ٣٦٩) .

(٣)(٤) انظر : ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية ، القسم الأول (ص : ٨٠)

رابعا : الدعوة بالانكار :

كان انكار المنكر أسلوبا من أساليب الدعوة في شمال أفريقيا وكثيرا ما كان هذا الانكار على الولاة أنفسهم مثل انكار البهلول بن راشد على محمد بن مقاتل العكي[1] عندما أخذ يلاطف ملك الروم ويبعث له بالهدايا ، فلما كتب ملك الروم اليه طالبا منه أن يبعث اليه بالنحاس والحديد والسلاح ، وعزم محمد بن مقاتل على ارسال ذلك اليه ، أنكر البهلول عليه ، فلما ألح في الانكار أرسل له من ضربه وآذاه[2] .

بل ان انكار المنكر وصل الى الخليفة في بغداد ، فقد قدم عبدالرحمن بن زياد بن أنعم على الخليفة المنصور فقال له : " ما رأيت في طريقك ؟ ، قال : " ما زلت في منكر وجور عظيم حتى قدمت عليك "، فقال له أبو جعفر : " ما نعمل ؟ ما نصنع ؟ لا يلي لنا مثلك " ، فقال له : " أتدرى ما قال عمر بن عبدالعزيز ؟ ، قال : " الملك سوق ، وانما يجلب الى السوق ما ينفق فيها[3] " .

ومن قصص الانكار باليد ما رواه المالكي أن أبا الوليد مروان بن

---

(١) محمد بن مقاتل العكي : تولى أفريقية لهارون الرشيد بعد هرثمة بن أعين سنة ١٨١ هـ ، وكان رضيع الرشيد ، ولم يكن محمود السيرة في ولايته ، بقي واليا على أفريقية الى سنة ١٨٤ هـ . انظر : البيان المغرب لابن عذارى (جـ : ١ ، ص : ٨٩) .

(٢) انظر : رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ٢١٢) .

(٣) المصدر السابق (جـ : ١ ، ص : ١٥٦) .

أبي شحمة الأفريقي[1] ، بعث في طلبه بعض أمراء بني الأغلب في أمر نسب اليه ، فأقبل وقت دخوله الى الأمير خصي بيده عود أو طنبور فأخذه مروان من يده بنزع عنيف فكسره ، فدخل الخصي على الأمير وقال: " شيخ بالباب عاتبه فيما صنع" فقال : " نعم رأيت منكرا ففيرته "، فلم يراجعه الأمير[2] .

وذكر المالكي كذلك أن أسد بن الفرات تحدث بحديث فيه رؤية الله تبارك وتعالى في الآخرة وأحد المعتزلة جالس آخر المسجد ، فسمعه فتكلم وأنكر ، فسمعه فقام اليه وجمع بين طوقه ولحيته واستقبله بنعله فضربه ضربا شديدا حتى أدماه[3] .

وذكر أيضا أن أصحابه كانوا يقرؤون عليه في تفسير قول الله تعالى : ((وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة)) ، وكان أحد المعتزلة جالسا بين يديه ، فقال له : " يا أبا عبدالله من الانتظار ، وكان الى جانب أسد نعل غليظ فأمسكه باحدى يديه ، وكان أيدا وأخذ بيده الأخرى النعل وقال : " أي والله يا زنديق لتقولنها أو لأبيضن بها عينيك " ، فقال : " نعم ننظره "[4] .

---

(١) هو : أبو الوليد مروان بن أبي شحمة الأفريقي ، سمع من وكيع بن الجراح، ومن عبد الرحمن بن مهدي ، سمع منه أحمد الصواف .
انظر : رياض النفوس (جـ : ١ ، ص : ٣٩٢) .

(٢) المصدر السابق (جـ : ١ ، ص : ٣٩٢) .

(٣) و(٤) المصدر السابق (جـ : ١ ، ص : ٢٦٥) .

خامسا : الدعـــوة بالمناظـــــرة :

كانت المناظرة أسلوبا مستخدما في الدعوة بشمال أفريقيا خـــلال القرنين الأول والثاني ، وخاصة بين علماء السنة والمعتزلة .

فمن هذه المناظرات مثلا ما ذكره المالكي من أن علي بن زيـــاد العبسي مـرّ بأبي محرز وعنده الطلبة ، فقال له : " يا أبا محـــرز ، ما الذى أراد الله سبحانه وتعالى من عباده ؟ ، قال : الطاعـــة ، فقال لـه : " وما الذى أراد ابليس منهم ؟ " ، فقال له : " المعصيـة"، فقال له : " أى الارادتين غلبت ؟ " ، فقال له أبو محرز : " أقلـــني أقالك الله تعالى " ، فقال له علي : " والله لا أقيلك حتى تتوب عـــن بدعتك " ، ثم التفت علي بن زياد الى الطلبة فقال : " شاهت الوجـــوه أفمن هذا تسمعون "[1] .

ولم تكن هذه المناظرات مناظرات عارضة ، بل كانت تعقد لهـــا المجالس في بعض الأحيان ، ذكر المالكي : " عن أبي عثمان قـــال : " سمعت أبي يقول : مررت بسقيفة العراقي[2] وهم يتناظرون في الاعـــتزال فوقفت أسمع مناظرتهم ، فبلغ ذلك البهلول ، فلما جئته قال : " يا محمد بلغني أنك مررت بسقيفة العراقي فوقفت اليهم تسمع الى مثل هذا فـــلا تقربني " ، وأغلظ علي"[3] .

---

(١) رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ٢٣٦) .

(٢) سقيفة العراقي : اسم لأحد القائلين برأى المعتزلة . انظر : تاريـــخ فلسفة الاسلام في القارة الافريقية ، الجزء الأول ، في الشمال الأفريقي ، للدكتور يحيي هويدى (ص : ١٥٨) .

(٣) رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ٢٠٤) .

وكان علماء السنة حريصين على أن تكون مجالس المناظرة مجالس خاصة لا يحضرها عامة الناس حتى لا تقع الشبهات في قلوبهم لضعف معرفتهم وجهلهم بفقه الأدلة الشرعية . قال بعض أصحاب البهلول : " كنت يوما جلسا عنده ومعه رجل عليه لباس حسن وهيئة ، فقال له البهلول : " أحب أن تذكر لي ما تحتج به القدرية " ، فسكت الرجل حتى تفرق الناس ، ثم قال له : " يا أبا عمرو انك سألتني عما تحتج به القدرية وهو كلام تصحبه الشياطين لأنه سلاح من سلاحهم فتزينه في قلوب العامة وفي المجلس من لا يفهم ما أتكلم به من ذلك فلا آمن أن يحلو بقلبه منه شيء فيقول : سمعت هذا الكلام في مجلس البهلول . فقال له : " والله لأقبلن رأسك أحييتني أحياك الله " (١) .

وقد كان العلماء يعلمون الناس كيف يحاجون القدرية ويردون عليهم ذكر المالكي أن عون بن يوسف قال : " اذا أردت أن تكفر القدري فقل له : " ما أراد الله عز وجل من خلقه ؟ " فان قال : " أراد منهم الطاعة فقد كفر ، لأن منهم من عصى وكل الله لا تتم طاعته فليس بالله ، وان قال : " أراد منهم المعصية " فقد كفر لأن منهم من أطاع وكل الله لا تتم ارادته فليس بالله " قال : " فان قال لك المسؤول : ما أراد منهم ؟ فقل : " أراد منهم الذى أراد لهم ، والذى كان لهم " . قال المالكي : " يريد ما سبق لهم عنده في اللوح المحفوظ " (٢) .

---

(١) رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ٢٠٤) .

(٢) المصدر السابق (جـ : ١ ، ص : ٣٨٦) .

- الفصـــل الثانـــي -

(نجاح الدعـــوة وأسبابـــه)

* المبحث الأول : نجـــاح الدعـــوة .
* المبحث الثاني : أسباب نجاح الدعـــوة .

- المبحث الأول -

(نجاح الدعوة)

أولا : بين غير المسلمين :

١- بداية النجاح : ان النصوص التاريخية تثبت فيما تثبت - أن نجاح الدعوة الاسلامية في شمال افريقيا واكتسابها الأنصار والمؤيدين للدين الحنيف بدأ في وقت متقدم جدا من بدايات الفتح الاسلامي لهذا الجزء من الأرض ... فالبلاذرى مثلا يقول : " ان عمرو بن العاص أرسل الى عمر بن الخطاب كتابا يعلمه أنه قد ولى عقبة ابن نافع الفهرى المغرب ، فبلغ زويلة(١) وأن من بين زويلة وبرقة سلم كلهم ، حسنة طاعتهم قد أدى سلمهم الصدقة وأقر معاهدهم بالجزية ، وأنه قد وضع على أهل زويلة ومن بينه وبينها ما رأى أنهم يطيقونه ، وأمر عماله جميعا أن يأخذوا الصدقة من الأغنياء ، فيردوها في الفقراء ، ويأخذوا الجزية من الذمة فتحمل اليه بمصر(٢) " .

ويقول ابن خلدون : " وانساح المسلمون في البسائط بالغارات

---

(١) زويلة : بلدان ، أحدهما : زويلة السودان .. بين بلاد السودان وافريقية ، وزويلة مدينة غير مسورة في وسط الصحراء ، وهي أول حدود بلاد السودان . معجم البلدان لياقوت الحموى (ج : ٣ ، ص : ١٥٩) .

(٢) فتوح البلدان للبلاذرى (ص : ٢٢٦) .

ووقع بينهم وبين البربر أهل الضواحي زحوف وقتل وسبي حتى لقد حصل في أسرهم يومئذ من ملوكهم وزمار بن صقلاب جد بني حـــذ ر وهو يومئذ أمير مغراوة وسائر زناته ورفعوه الى عثمان رضي الله عنـــه فأسلم على يده ومن عليه وأطلقه وعقد له على قومه "(١) .

وهذان النصان التاريخيان يدلان على أن الاسلام انتشـــــر انتشارا واسعا مع بداية الفتوح حيث كان استشهاد عمر بـــــن الخطاب رضي الله عنه سنة ٢٣ هـ ، واستشهاد عثمان رضي الله عنه سنة ٣٥ هـ .

وما يدلّ على أن هذا الانتشار كان انتشارا واسعا أن الأمر احتاج الى تنظيم أمور الصدقة والى قيام الولاة بأنفسهم بأخذهـا من الأغنياء وردها على الفقراء ، ثم ان اسلام وزمار بن صقلاب أمير مغراوة وزناتة لا بد أن يتبعه اسلام عدد كبير من قبيلته .

وقد شارك هؤلاء المسلمون الجدد في الفتوح ، فحينما خـرج عبدالله بن أبي السرح رضي الله عنه من مصر كان معه عشـــرون ألف جندى ما بين عرب من الجزيرة وجند وقبط من مصر وبربـــــر من أهل أفريقيـــا(٢) .

---

(١) تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب " العبر " وديوان المبتدأ والخبر (جـ : ٦ ، ص : ١٠٨) .

(٢) انظر : فتح العرب للمغرب لحسين مؤنس (ص : ٨٤) .

وربما اعترض على هذا الأمر بأن ما حدث بعد ذلك من ثورات وخروج لهذه البلاد كلية عن سلطان المسلمين لا يؤيد هذا الرأى ولا يسنده ، غير أننا يمكن أن نفهم هذا الأمر ونقره اذا ما تذكرنا كثرة ارتداد أهل هذه البلاد بعد اسلامهم كلما آنسوا في المسلمين ضعفا أو قلّة ، وحوادث الردة هذه يبعد أن تشمل جميع من أسلم ، فلا بد أن يكون من بينهم من رسخ الايمان في قلبه ، فلم يشارك في هذه الثورات ولم يستطع الوقوف في وجهها لضعفه وقلّة حيلته ، فيبقى لهذه البدايات اذن أهميتها في التاريخ لبدء انتشار الاسلام .

٢- استمراره : استمر نجاح الدعوة ودخول الناس في الاسلام فعندما خرج عقبة بن نافع رضي الله عنه في حملته الأولى سنة ٥٠ هـ أخذ معه من أسلم من البربر .(١)

وعندما وصل عقبة الى موضع القيروان وأراد بناءها أسلم كثير من البربر أيضا ،(٢) ثم ان الاسلام ازداد انتشاره بعد بنائها . يقول ابن الأثير متحدثا عن عقبة رحمه الله تعالى : " وكان في أثناء عمارة المدينة يغزو ويرسل السرايا فتغير وتنهب ، ودخل كثير من البربر في الاسلام واتسعت خطة المسلمين وقوى جنان من هناك من الجنود بمدينة القيروان ، واطمأنوا على المقام فثبت الاسلام فيها".(٣)

---

(١) الكامل لابن الأثير (جـ : ٣ ، ص : ٤٦٥) .
(٢) المصدر السابق (جـ : ٣ ، ص : ٤٦٦) .
(٣) المصدر السابق (جـ : ٣ ، ص : ٤٦٦) .

وقد خلف عقبة رحمه الله في ولايته الأولى أبو المهاجر دينار رحمه الله تعالى الذى أسلم على يديه الزعيم البربرى "كسيلة" وهو حدث كان يمثل مرحلة هامة في انتشار الاسلام ، يصور ذلك الدكتور حسين مؤنس بقوله : " ولا نزاع في أن اسلام كسيلة كان حادثا عظيما له معناه وأثره البعيدان ، فأما معناه فنجاح الفاتح الاسلامي في تأدية الغرض الأسمى من هذا الفتح وهو نشر الاسلام ، وأما تأثيره فلا نزاع في أن كسيلة لم يسلم بمفرده وانما تبعه نفر كبير من قومه من القادة والأقارب والأتباع الأصاغر"(١).

ورغم أن كسيلة هذا قد ارتد فيما بعد وتسبب في ثورة كبيرة على الحكم الاسلامي تلك الثورة التي استشهد فيها عقبة رحمه الله في حملته الثانية ، وسقطت فيها القيروان ، فانه يبقى لاسلامه أهميته الكبيرة باعتباره يمثل نجاحا اسلاميا في الدعوة اذ لو سلمنا بأن الكثير من قومه قد ارتدوا معه فاننا نكاد نجزم أن طائفة منهم قد بقوا على الاسلام .

وبعد ولاية أبو المهاجر كانت ولاية عقبة الثانية ، وفيها توغل حتى وصل المحيط الأطلسي ، فلما أراد أن يتوجه الى " طنجة " قال له أبو المهاجر : " ليس في طنجة عدو لك ، لأن الناس قد أسلموا "(٢) ، وفي حملته هذه أسلمت بعض القبائل والمدن(٣) .

---

(١) فتح العرب للمغرب لحسين مؤنس (ص : ١٧٦) .
(٢) رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ٤٠) .
(٣) انظر : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، لأحمد بن خالد الناصرى (جـ : ١ ، ص : ٧٣) ، ورياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ٩٨) .

٣- تمكنـــه : تمكن الاسلام في شمال أفريقيا وصار له أنصار ومؤيدون من أهل البلاد ، فلما ثار كسيلة على عقبة وتمكن من قتله فـــي "تهودة" واستولى على القيروان ورجع عامة المسلمين الى برقـــة انقلبت أفريقية نارا (١) ، ولم تكن أفريقيا لتنقلب نارا لولا وجـــود أنصار للمسلمين لم يرضهم ما حل بعقبة ومن معه .

ويقول ابن الأثير : " لم يفلت - أى من المسلمين في تهودة" أحد وأسر محمد بن أوس الأنصارى في نفر يسير فخلصهم صاحـــب قفصة ، وبعث بهم الى القيروان (٢) " .

ويغلب على الظن أن صاحب قفصة هذا كان مسلما ، فان لم يكن فهو متعاطف مع المسلمين على أقل تقدير ، ويشهد بأن طوائف من أصحاب البلاد كانوا مع المسلمين ما ذكره السلاوى من أن عقبة رحمه الله لما وصل الى جبل درن " نهضت زناته وكانت خالصـــة للمسلمين منذ اسلام مغراوة (٣) " .

ويرى الدكتور حسين مؤنس أن الجماعات البربرية الاسلامية ، أو التي تميل الى المسلمين في ذلك الحين كانت تسكن في الجنـوب وهي القبائل البدوية الكثيرة الشبه بالعرب ، بينما انحصرت مقاومـة

---

(١) انظر : رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ٢٨) .
(٢) الكامل لابن الأثير (جـ : ٤ ، ص : ١٠٨) .
(٣) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (جـ : ١ ، ص : ٧٣) .
ودرن : جبل من جبال البربر بالمغرب ، فيه عدة قبائل وقـــرى .
معجم البلدان (جـ : ٢ ، ص : ٤٥٢) .

الفتح الاسلامي بالقبائل الشمالية المتحضرة والمتأثرة بالحضـــارة البيزنطية (١) .

وقد تمثل ما للمسلمين من تأييد طوائف من أصحاب البـــلاد في الحملات التي جاءت بعد ذلك ، فقد قاد زهير بن قيـــس البلوى رضي الله عنه حملة للثأر لمقتل عقبة رحمه الله واستعادة القيروان من كسيلة (٢) ، وكان في حملته ألفان من البربر .

ثم تلا حملة زهير بن قيس ، حملة حسان بن النعمان رحمه الله (٣) ، وكان معه في جيشه جماعة من البربر ، وكان على مقدمـــة جيشه هلال اللواتي البربرى (٤) ، يقول الدكتور حسين مؤنس : " ولـــم يرد لهلال اللواتي هذا ذكر في غير ابن الحكم ، ولم يوضح لنـا هذا الأخير حقيقة أمره ، ولكن ذكره هنا عظيم الأهمية فهو يـدل على أحد أمرين : اما أن هلالا هذا أسلم وانضم للعرب ، وامـــا أنه ناصرهم وأخذ بجانبهم فوثقوا فيه وأقاموه في مقام كبير من جيشهم ويفهم منه في كلتا الحالين أن المسلمين كسبوا لأنفسهم أنصارا من أهل البلاد يدلونهم في مسيرهم وينصروهم ويقاتلون معهم جنبـــا الى جنب (٥) ، وهذا أمر عظيم الأهمية لهذا الفتح " .

---

(١) انظر : فتح العرب للمغرب لحسين مؤنس (ص : ٢٢٠) .
(٢) انظر : المصدر السابق (ص : ٢١٩) .
(٣) انظر : المصدر السابق (ص : ٢٥٩) .
(٤) انظر : فتوح مصر وأخبارها لأبي القاسم عبدالرحمن بن الحكـــم (ص : ٢٠٠) .
(٥) فتح العرب للمغرب لحسين مؤنس (ص : ٢٣٨) .

وقد أسلم على يدى حسان بن النعمان اثنا عشر ألفا من البربر وصاروا معه في جيشه (١) .

ثم خلف حسان بن النعمان موسى بن نصير ، حيث استقرت الفتوح ، وخضعت البربر ، فانتشر الاسلام وذاع .

٤- تماسه : نجد بعض النصوص التاريخية التي تذكر وقتا محددا تم فيه اسلام البربر أو اسلام بعض جهات شمال أفريقيا . فابن عذارى المراكشي يقول : " كانت ولاية طارق على طنجة والمغرب الأقصى في سنة ٨٥ هـ ، وفي هذا التاريخ تم اسلام أهل المغرب الأقصى ، وحولوا المساجد التي كان بناها المشركون الى القبلة ، وجعلوا المنابر في مساجد الجماعات" (٢) .

ويقول المالكي :" ولى عمر بن عبدالعزيز اسماعيل بن عبدالله أفريقية فكان خير وال وخير أمير ، وما زال حريصا على دعاء البربر الى الاسلام فأسلم بقية البربر على يديه" (٣) .

والذى يغلب على الظن أن مراد ابن عذارى وكذلك المالكي ليس كل أهل المغرب الأقصى ، أو كل البربر ، ولكن مرادهم عامة

---

(١) انظر : تاريخ أفريقية والمغرب ،للرقيق القيرواني (ص : ٦٤) والبيان المغرب لابن عذارى (جـ : ١ ، ص : ٣٨) ، ورياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ٥٦) .

(٢) البيان المغرب لابن عذارى (جـ : ١ ، ص : ٦٧) .

(٣) تاريخ أفريقيا والمغرب ،للرقيق القيرواني (ص : ٩٧) ، ورياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ١١٦) .

أهل المغرب الأقصى وعامة البربر اذ اسلام الجميع أمر تستحيل الاحاطة به .

واذا أردنا أن نعرف تاريخ اسلام عامة سكان شمال أفريقيا فاننا لا نجد ما يمنعنا من الأخذ بقول المالكي في أن ذلك كان في ولاية اسماعيل بن عبيدالله ، اذ البربر كانوا هم أغلبية سكان شمال أفريقيا ، وقد شمل كلامه البربر جميعا ولم يقتصر كما هو حال كلام ابن عذارى على أهل المغرب الأقصى . ويؤيد هذا ثناء عامة المؤرخين على الجهد الكبير الذى بذله العشرة التابعون الذين بعثهم عمر بن عبدالعزيز رحمه الله مع اسماعيل بن عبيدالله لتعليم أهل شمال أفريقيا الحلال والحرام ، وكون هذا متأخرا عن ولاية طارق رحمه الله على طنجة .

وهذا التاريخ التقريبي انما يبين الوقت الذى أصبح فيه أكثر الناس مسلمين ولا ينفي هذا وجود أعداد لم تدخل الاسلام لأن الدعوة لم تبلغها لكونها في صحراء منعزلة أو لترددها في الاجابة والقبول ، وقد أسلمت تلك الأعداد بمرور الزمن .

ثم استقر الاسلام في شمال أفريقيا ، وثبت بعد ذلك فلم يأت زمن يتغلب فيه غير المسلمين ، وتكون لهم القوة والكثرة ، كتب أبو جعفر المنصور الى عبدالرحمن بن حبيب يدعوه الى الطاعة فأجابه ، ودعا له ووجه اليه بهدية كان فيها بزاة وكلاب وكتب

اليه : " ان افريقية اليوم اسلامية كلها ، وقد انقطع السبي منها "[1] .

وما زال الاسلام هو السائد فيها الى يومنا هذا ، والحمد لله .

ثانيا : بين المسلمين :

لقد نجحت الدعوة الاسلامية بين المسلمين مثلما نجحت بين غير المسلمين ، وقد تمثل نجاحها بثلاثة أمور :

١- نجحت بين المسلمين الفاتحين الذين جاؤوا الى شمال افريقيا دعاة الى الاسلام وهداة الى طريقه القويم ، فقد وجد من بينهم من كان مرشدا لهم وموجها لسلوكهم ، ليكونوا في مستوى المسؤولية الملقاة على كواهلهم ألا وهي حمل الاسلام وتبليغه الى الناس . وقد كان نتيجة جهود الدعاة داخل مجتمع الدعاة أنفسهم أن مثل هؤلاء المسلمين الفاتحين الاسلام أصدق تمثيل ، ونجحوا في اجتذاب غير المسلمين اليه دون أن يصدر منهم ما يشوه صورة الدين الحنيف أو يسيء اليه .

٢- نجحت الدعوة بين المسلمين الجدد من أبناء البلاد الأصليين سواء كانوا بربرا - وهم الغالب على سكان هذه الديار - أو غيرهم ، فرسخ الايمان في قلوبهم ، وتفقهوا في دينهم . يدل لذلك ما

---

(١) انظر : البيان المغرب لابن عذارى (ج : ١ ، ص : ٦٧) .

ذكره الرقيق القيرواني وابن عذارى المراكشي من أن يزيد بن عبدالملك بعد أن تولى الخلافة بعد وفاة عمر بن عبدالعزيز رحمه الله ولى على شمال أفريقيا يزيد بن أبي مسلم ، فمكث أشهرا وحرسه من البربر خاصة ، فقام يزيد بن أبي مسلم خطيبا على المنبر فقال : " أيها الناس ، اني قد رأيت أن أسم حرسي في أيديهم كما تفعل ملوك الروم بحرسها فأسم في يمين الرجل اسمه وفي يساره " حرسي " ، ليعرفوا في الناس بذلك من غيرهم ، فاذا دفعوا الى أحد أسرع فيما أمر به ، فلما سمع ذلك حرسه اتفقوا على قتله ، وقالوا : " جعلنا بمنزلة النصارى ! " ، فلما خرج من داره الى المسجد لصلاة المغرب قتلوه في مصلاه (١) .

فهذه الحادثة تدل على مقدار تمكن الاسلام في قلوب هؤلاء البربر الذين يحرسون الأمير ، فلم يدفعهم ما نوى الأمير فعله بهم الى الارتداد عن الاسلام ، ولكن دفعهم ذلك الى الثورة على الأمير فحسب ، ولم تكن ثورتهم عليه لأن فيما نوى فعله بهم اهانة لهم وتنكيل بهم ، ولكن لأنه ساواهم بالنصارى وهم مسلمون .

وقد تمكن الاسلام في نفوس البربر ورسخ سريعا ، يدل لذلك ما ذكره المالكي عن علي بن يونس الليثي أنه قال : " كنت جالسا

---

(١) انظر : تاريخ أفريقية والمغرب ، للرقيق القيرواني (ص : ٩٩) والبيان المغرب لابن عذارى (جـ : ١ ، ص : ٤٨) .

عند مالك ، فجاء قوم من البربر من أهل المغرب فسألوا فقالوا : " ما تقول في الصلاة بالتاكمة ؟ "، فوصفوه له فلم يفهمه ، فقالوا لي - وكنت أحدث من في المجلس سنا - قم ، فقمت ، فربطوه على كما يفعلون في بلادهم ، فقال لهم مالك : " لم تفعلون هذا ؟ قالوا : نجمع فيه الحشيش من الزرع فتحضر الصلاة " ، فقال مالك : " اذا كنتم انما تفعلون هذا لمنافعكم فتحضركم الصلاة فتصلون به ما أرى به بأسا ان شاء الله " .(١)

فاذا علمنا أن الامام مالكا رحمه الله تعالى توفى سنة ١٧٩ هـ (٢) أدركنا سرعة رسوخ الايمان في قلوبهم مما دفعهم الى الذهاب الى المشرق سواء كان هدف ذهابهم هذا هو الحج أو العمرة أو زيارة المسجد النبوى أو طلب العلم والتفقه في الدين أو هذه الأمور جميعا .

كما رحل كثير من البربر الى المشرق لطلب العلم خاصة وبرز نتيجة لذلك من البربر علماء وزهاد كان لهم أثرهم المشهود في الدعوة الى الله تعالى نذكر منهم اثنين : أحدهما يمثل رجلا غلب عليه العلم واشتهر به ، والآخر غلب عليه الزهد وعرف به .

أما أولهما : فهو علي بن زياد التونسي ، سمع من مالك والليث

---

(١) رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ٢٩٢) .

(٢) انظر : تذكرة الحفاظ للذهبي (جـ : ١ ، ص : ٢١٣) .

ابن سعد وسمع منه البهلول بن راشد وسحنون بن سعيد وأسد ابن الفرات وهو أول من أدخل المغرب " جامع سفيان الثوري " و" موطأ مالك " رحل الى الحجاز والعراق ، توفى سنة ٨٣ هـ وكان من البربر (١) .

وأما ثانيهما : فهو البهلول بن راشد ، سمع من مالك وسفيان الثورى والليث بن سعد ، وسمع منه سحنون بن سعيد ، وكان من الفقهاء ، ولكن غلبت عليه العبادة ، ولد سنة ١٢٨ هـ ، وتوفى سنة ١٨٧ هـ ، وكان من البربر (٢) .

٣- ونجحت الدعوة بين المسلمين بجميع فئاتهم فحفظتهم من أتباع المذاهب الباطلة والدعوات المنحرفة ، وقد عرف خلال القرن الثاني الهجرى مثلا مذهب المعتزلة في العقيدة غير أنه لم يلق رواجا كبيرا في شمال أفريقيا نتيجة " لجهود الدعاة العاملين في توضيح بطلانه وكشف زيفه واظهار تهافته .

كان المعتقدون لهذا المذهب نفرا قليلا لم يستطيعوا أن يخفوا من عداء العلماء لهم أو يكسبوا ثقة عامة الناس بهم فلم ينتشر

---

(١) انظر : دراسات وصور للدكتور طه الحاجرى (ص : ٦٢) ، ورياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ٢٣٤) ، وشجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد بن محمد بن مخلوف (ص : ٦٠) ، وسوف تأتي ترجمته في الفصل الثالث باذن الله تعالى بشيء من التفصيل .

(٢) انظر : دراسات وصور للدكتور طه الحاجرى (ص : ٦١) ، ورياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ٢٠٠) ، وسوف تأتي ترجمته بشيء من التفصيل في الفصل الثالث باذن الله .

مذهبهم الانتشار الواسع ولم يذع الذيوع المأمول .

ذكر المالكي أن رجلا يقال له الرفاء من أصحاب البهلول ابن راشد توفى فحضر وفاته عبدالله بن غانم وعبدالله بن فروخ والبهلول بن راشد ، فأتى بجنازته وبجنازة ابن صخر المعتزلي فصلي على الرفاء ، ثم قدم ابن صخر المعتزلي فقالوا لابن غانم " الجنازة " ، فقال : " كل حي ميت قدموا دابتي " ولم يصل عليه وقيل لابن فروخ : " الجنازة " فقال مثل ذلك ، وقام ولم يصل عليه وقيل للبهلول : " الجنازة " فقال مثل ذلك (١) .

وذكر المالكي أيضا أن رجالا جاؤوا الى عون بن يوسف الخزاعي فقالوا : " مات عندنا رجل يقول بخلق القرآن ، فما نصنع به ؟ ، فقال : ان وجدتم من يكفيكم مؤنته فلا تقربوه " ، فسكتوا ، ثم أعادوا السؤال ثانية ، فأجابهم بمثل الأول ، ثم أعادوا السؤال ثالثة ، فأجابهم بمثل ذلك ، فقالوا : " لا نجد من يكفينا مؤنته " فقال لهم : " اذهبوا فواروه من أجل التوحيد " ، قال سليمان : يريد تغسلونه وتكفنونه وتصلون عليه ودفنونه " (٢) .

ويذكر أبو العرب التميمي في ترجمة البهلول بن عمر بن صالح ابن عبيدة التجيبي أنه ربما كان يقول بخلق القرآن ، فلما مات

---

(١) انظر : رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ١٨٦) .

(٢) المصدر السابق (جـ : ١ ، ص : ٣٨٦) .

وحملت جنازته لم يكن معها الا القليل ، وقال الناس : " الوادى الوادى - أى ألقوه في الوادى - " (١) .

وفي المقابل نجد الناس يزدحمون على جنازة رباح بن يزيد من أهل السنة من صلاة الظهر الى صلاة العصر ، ولم يخلص نعشه الا الشرط (٢) .

---

(١) انظر : طبقات علماء أفريقيا لأبي العرب التميمي (ص : ٩١) .

(٢) انظر : رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ٣١١) .

- المبحث الثاني -

(أسباب نجاح الدعـــوة)

أولا : أسباب محليـــة :

١- الحالة السياسية والعسكريـــة :

كان الشمال الأفريقي قبل الفتح الاسلامي خاضعا في عمومه للحكم البيزنطي ، وكان نفوذ البيزنطيين يبدأ من حدود مصر ويضـــم برقة وطرابلس وتونس الحالية ، وجبال الأوراس ، ثم يأخذ بالاقتراب من الساحل حتى ينتهي عند طنجة ، ثم انه أخذ يضيق شيئـــا فشيئا حتى لم يبق آخر الأمر تحت النفوذ البيزنطي الا ساحـــل ضيق توجد فيه حصون متفرقة (١) .

لقد كان تقلص نفوذ البيزنطيين ناتجا عن الغارات المستمرة التي يقوم بها البربر على حصونهم حيث كانوا لا يدعون فرصـــة للاشتباك معهم الا انتهزوها مما أنهك الجيش البيزنطي وأجبره على التراجع الى المناطق الساحلية .

وقد اضطرت الدولة البيزنطية بسبب كثرة الثورات الى تحويـل منطقة شمال أفريقيا الى منطقة عسكرية يحكمها قائد حربي يلقـــب بالبطريق ويسمى " جرجير " ، وقد اختلف هذا القائد العسكـــرى

---

(١) انظر : فتح العرب للمغرب لحسين مؤنس (ص : ١٤-١٥) .

مع الدولة البيزنطية فنصب نفسه امبراطورا ، وأعلن استقلاله بالبلاد (١) .

لقد كان للأوضاع السياسية المتمثلة باستقلال حاكم شمال أفريقيا عن الدولة البيزنطية وبانحسار نفوذه الى شريط ضيق من الساحل ، وللأوضاع الحربية المتمثلة بضعف الجيش البيزنطي وبالثورات البربرية المتواصلة ضد البيزنطيين أكبر الأثر في تسهيل مهمة الفاتحين المسلمين ، حيث لم يجدوا قوة واحدة تقف في وجوههم ، وانما وجدوا قوى متفرقة استطاعوا أن يتغلبوا عليها واحدة تلو أخرى .

كان الصدام الحقيقي الأول بين جيش عبدالله بن سعد بن أبي السرح رضي الله عنه وجيش " جرجير " الذى أدرك ضعف الجيش البيزنطي فاحتمى بالبربر ، ولكنه سرعان ما هزم شر هزيمة بعد قتال ونزال شديدين (٢) .

ثم توالت المعارك التي لم يتحد فيها سكان البلاد بجميع فئاتهم في معركة واحدة ، بل كان القتال دائما يكون مع طائفة دون طائفة ، وكانت هذه الطوائف تتساقط أمام الزحف الاسلامي بكل سهولة ، ولو كانت متحدة جميعا فلربما كان فتح الشمال الأفريقي أكثر صعوبة .

---

(١) انظر : فتح العرب للمغرب لحسين مؤنس (ص : ٢٠) .

(٢) انظر : المصدر السابق (ص : ٢٠-٢١) .

٢- الحالة الدينية :

كانت الحالة الدينية في شمال أفريقيا شبيهة بحال الجزيرة العربية قبل ظهور الاسلام ، فكان عامة البربر الذين يمثلون أكثرية السكان لا يدينون بدين سماوى ، وأصدق وصف يمكن أن يوصفوا به هو أنهم مشركون ، وهو وصف أطلقه عليهم الخليفة الأموى عبدالملك بن مروان ، اذ قال عندما استشهد عقبة بن نافع رحمه الله وأراد أن يعين من يقوم مقامه على قيادة الجيوش في شمال أفريقيا : " لا يصلح للطلب بثأر عقبة من المشركين الا من هو مثله في دين الله عز وجل "(١) .

وسواء كان هؤلاء المشركون وثنيين كما هو حال الكاهنة التي ثارت مع قومها على حسان بن النعمان رحمه الله ، اذ المصادر التاريخية تذكر أنها هربت الى جبال أوراس ومعها صنم عظيم من خشب كانت تعبده يحمل بين يديها على جمل(٢) .

أو كانوا مجوسا أو نصارى ، كما وصفهم مؤرخون آخرون كابن عذارى الذى يقول : " خرج رحمة الله عليه - يعني عقبة - غازيا للروم والبربر وهم اذ ذاك مجوس ونصارى "(٣) .

سواء كانوا هؤلاء أو أولئك ، فان وصف المشركين يصدق عليهم

---

(١) فتح العرب للمغرب لحسين مؤنس (ص : ٢١٩) ، نقلا عن نهاية الارب للنويرى (مخطوط) .
(٢) انظر : رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ٥٤) .
(٣) البيان المغرب لابن عذارى المراكشي (جـ : ١ ، ص : ٢٤) .

جميعا فهم في شركهم على طرائق متعددة .

وقد انتشرت المسيحية بين بعض قبائل البربر أيضا في الشمال الأفريقي ، كما هو الحال في الجزيرة العربية قبل الاسلام ووجد في شمال أفريقيا أعداد لا بأس بها من الروم أيضا تدين بالنصرانية ، وقد كانت المقاومة الحقيقية للجيش الاسلامي من هؤلاء دون غيرهم ، يقول صاحب الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى : " وكان كسيلة بن أغز الأوبرى ... من أهل المغرب الأقصى من عظماء البربر وكان نصرانيا قد جمع الجموع من البربر والفرنج وزحف الى المسلمين ، فزحف اليهم أبو المهاجر فهزمهم شر هزيمة "(١) .

على أن عدد النصارى قبل الفتح الاسلامي لم يكن كثيرا جدا(٢) ، ولذا لم يتمكنوا من الوقوف في وجه الفتح الاسلامي طويلا .

ووجد في شمال أفريقيا بعض اليهود أيضا - كما هو حال الجزيرة العربية قبل الاسلام - وبقوا فيه بعد تمام الفتح الاسلامي(٣).

لقد وجد في هذا المجتمع اذن مشركون ونصارى ويهود ولم يكن المشركون على رأى واحد ، بل كانوا على آراء وعقائد

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى للناصرى (جـ : ١ ، ص : ٧١) .
(٢) الدعوة الاسلامية - بحث في تاريخ نشر العقيدة الاسلامية - لتوماس آرنولد - ترجمة حسن ابراهيم حسن وعبدالمجيد عابدين واسماعيل النحراوى (ص : ١٤٤) .
(٣) انظر : رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ٣٣٦) .

كثيرة ، وكذلك كان النصارى ، فقد كان الصراع بين فرقهم في الشمال الأفريقي محتدما وشديدا (١) ، أما اليهود فكانوا قلة قليلة لا يؤبه لها فلم يكونوا يمثلون قوة كبيرة .

لقد كان لتعدد المعتقدات الدينية أثره في التشكيك بصحة هذه المعتقدات ، مما سهل على النفوس تركها ، اضافة الى ضعفها وتفاهتها ، لا سيما اذا ما قورنت بالعقيدة الصحيحة ، ومن ثم كان الاقبال على الاسلام أمرا سهلا وميسورا .

٣- الحالة الاجتماعية :

كان عامة سكان شمال أفريقيا من البربر الذين هم أهل البلاد الأصليون ، وهم قبائل متعددة منهم البدو الرحل ، ومنهم المستقرون الذين ارتبطت حياتهم بالأرض التي يزرعون أو بالتجارة التي بها يعملون (٢) .

كانت هذه القبائل شديدة الشبه في أسلوب حياتها بالقبائل العربية ، فهي قبائل متفرقة لا يجمعها رابط ، وهي قبائل محبة للقتال والحرية ، ولم يؤثر فيها الترف والمدنية .

هذا الشبه بين العرب والبربر كان أحد الأسباب المهمة لنجاح الدعوة فيما بينهم ، يقول الدكتور محمد طه الحاجري :

---

(١) انظر : العرب والاسلام في الحوض الغربي (ص : ٥٢) .

(٢) انظر : دراسات وصور للدكتور محمد طه الحاجري (ص : ٣٠) .

" لم يكد العرب يستقرون في شمال أفريقيا حتى استطاعوا أن يستأنفوا في هذه البلاد الجديدة حياة قريبة من الحياة التي تركوها وراءهم ، وينتشروا بين قبائل البربر يأخذون في الحياة مأخذهم وبذلك استطاعوا في يسر أن يداخلوهم صنوفا من المداخلة ، ومن ناحية أخرى يحس البربر أنهم بازاء شعب لا يفصل بينه وبينهم ما كان يفصل بينهم وبين اليونان والرومان من فوارق واسعة في الطبائع والأخلاق والعادات ، وأساليب العيش وأنماط التفكير ، وانما هي اللغة وحدها . ثم لا تلبث الصلات التي جعلت تنعقد بين هؤلاء وأولئك في شتى مجالات الحياة ... أن أضعفت من الاحساس بذلك الفارق "(١) .

اضافة الى شبه البربر في حياتهم الاجتماعية بالعرب ، هذا الشبه الذى جعل الاختلاط والامتزاج بين الفريقين أمرا ميسورا فان البربر كانوا يعاملون من قبل البيزنطيين معاملة العبيد وكان البيزنطيون يغالون في فرض الضرائب عليهم كما كان الجند يتعدون على أراضيهم ومراعيهم ، وذلك ما جعل الكراهية للبيزنطيين والرغبة في الانقضاض عليهم تستقر في نفوسهم ، فلما جاء الفاتحون المسلمون كان الكثيرون منهم يرون فيهم مخلصين لهم من ظلم البيزنطيين وجورهم(٢) .

---

(١) انظر : دراسات وصور للدكتور محمد طه الحاجرى (ص : ٤٠) .

(٢) انظر : فتح العرب للمغرب لحسين مؤنس (ص : ٢٣-٢٤) .

ثانيا : أسباب ذاتيـــة :

١- وضوح العقيدة الاسلامية وموافقتها للفطرة :

العقيدة الاسلامية عقيدة واضحة سهلة الفهم فلا توجد فيهـــا تعقيدات المسيحية وغموضها ، فالمعبود هو رب واحد ليس لـــه شريك . وهذا ما يتفق مع فطرة الانسان وعقله السليم ، ومـــا يطمئن اليه قلبه المستنير وتسكن اليه نفسه السالمة من اتبـــاع الهوى والشهوة .

واذا نظرنا الى عقيدة أخرى كالمسيحية - مثلا - وجدنـــا أن النفوس المستقيمة تنفر منها وتبتعد عنها فهي في أهم قضية مـــن قضايا العقيدة ألا وهي حقيقـــة المعبود تختلف فرقها وتتصـــارع تصارعا شديدا .

ان هذا الصراع في حد ذاته يعد مشككا بهذه العقيـــدة ومنفرا منها ومبعدا الناس عن الايمان بصدقها وأحقيتها ، فكيـــف اذا كان المتصارعون يأتون بكلام لا يستسيغه عقل ولا تنشرح لـــه نفس ؟ ، ان النفور منها يكون أشد والاعراض عنها يكون أبلغ .

فلا غرابة اذن اذا وجدنا المسيحيين يبسطون سيطرتهم على شمال أفريقيا قرونا عديدة ، ومع ذلك لم يستطيعوا أن يجذبـــوا الى دينهم الا طائفة قليلة من سكان البلاد تلاشت مع الزمـــن واعتنق أكثرها الاسلام ، فلقد كان الخلاف حول طبيعة المسيح فـي

الشمال الأفريقي قبيل الفتح الاسلامي محتدما والصراع شديـــدا (١) ، بينما نجد أن عامة سكان البلاد يعتنقون الاسلام قبل أن يـــتم للمسلمين في هذه البلاد بعد فتحهم لها قرن واحد مـــــن الزمـان .

يقول الدكتور يوسف القرضاوى : " ان قضية التثنية في الألوهية - اله الخير واله الشر والظلمة - وقضية التثليث في الوثنيـــات القديمة أو في المسيحية المتأثرة بها (الأب والابن والروح القدس) لا تتمتع واحدة منهـا بالوضوح لدى المؤمنين بها ، ولهذا تعتمد على الايمان بغير برهان " اعتقد وأنت أعمى ،أو " اغمض عينيـــك ثم اتبعني " ، بخلاف قضية التوحيد فهي تستند الى العقـــل وتعتمد على البرهان ، يقول القرآن للمشركين : ((أ اله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين (٢))) .

ويقيم الأدلة على الوحدانية بمثل قوله : ((لو كان فيهمـــا آلهة الا اللـــه لفسدتا (٣))) ، ((ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذن لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم علـــى بعض سبحان الله عما يشركون (٤) (٥))) .

---

(١) انظر : العرب والاسلام في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوســط ، لعمر فروخ (ص : ٥٢) .
(٢) سورة النمل ،آية (٦٤) .
(٣) سورة الأنبياء ،آية (٢٢) .
(٤) سورة المؤمنون ،آية (٩١) .
(٥) الخصائص العامة للاسلام ليوسف القرضاوى (ص : ١٨٨) .

يقول توماس آرنولد معددا بعض الأسباب التي أدت الى نجاح المسلمين في نشر الاسلام : " في مقدمة هذه الأسباب بساطة العقيدة الاسلامية ، لا اله الا الله محمد رسول الله ، وكل ما يطلب من الذى يدخل في الاسلام قبول هاتين الشهادتين .... ان هذه العقيدة البسيطة لا تتطلب تجربة كبيرة للايمان .... ولما كانت خالية من المخارج والحيل النظرية اللاهوتية كان من الممكن أن يشرحها أى فرد حتى أقل الناس خبرة بالعبارات الدينية النظرية "[1] .

٢- سماحة الاسلام :

لقد كان لسماحة المسلمين ولينهم في معاملة أهل البلاد أكبر الأثر في ترحيب أهل البلاد بالفاتحين المسلمين واقبالهم على الاسلام اقبالا منقطع النظير . تلك السماحة لم تكن الا نتيجة لايمان هؤلاء الفاتحين بالاسلام وتطبيقهم لشرائعه التي تحث على الرفق بالمخالفين ودعوتهم بالحكمة واللين ، والتي تنهى عن الافساد في الأرض واهلاك الحرث والنسل ، فالله تعالى لا يحب الفساد .

وتمثلت سماحة الاسلام بعد العطف واللين بعدم اكراه غير المسلمين على الدخول في الاسلام ، فان عددا كبيرا من أهل

---

(١) الدعوة الى الاسلام لتوماس آرنولد (ص : ٤٥٤) .

البلاد لم يقاتلوا المسلمين ولم يقفوا في وجه الفتح الاسلامي لعلمهم بأن المسلمين لا يكرهون أحدا على اعتناق دينهم ، وهذا ما سهل للمسلمين الاستيلاء على البلاد . فلو كان المسلمون يكرهون غيرهم على الاسلام لما رحبت أعداد كبيرة من النصارى بالفتح الاسلامي فرارا من ظلم الكاهنة وهمجيتها .

والدلائل التي تثبت أن المسلمين لم يكونوا يكرهون الناس على اعتناق الاسلام كثيرة منها :

١- أن المسلمين في حروبهم يخيرون أعداءهم قبل بدء الحرب بين ثلاثة أمور : الاسلام أو الجزية أو القتال ، فمن لم يرد الاسلام فعليه أن يدفع الجزية ، والجزية مبلغ زهيد يؤخذ من القادر فقط ينال بموجبه ميزات عديدة منها حماية الدولة ورعايتها له علما بأن غير المسلمين يأخذون في العادة من مواطنيهم أضعاف هذه الجزية على شكل ضرائب باهظة ، وعلما بأن المسلمين أنفسهم يؤخذ منهم وهم تحت الحكم الاسلامي مبلغ يقابل هذا المبلغ الذى يؤخذ من غير المسلمين يسمى " الزكاة " (١) .

وقد ثبت تاريخيا تخيير المسلمين الفاتحين الفاتحين في شمال أفريقيا لمقاوميهم بين هذه الأمور الثلاثة (٢) .

---

(١) انظر : رد الشبهات حول أخذ الجزية في كتاب آثار الحرب في الفقه الاسلامي للدكتور وهبة الزحيلي (ص : ٦٩١) .

(٢) انظر مثلا : رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ١٧ و ص : ٢٦) ، وفتح العرب للمغرب لحسين مؤنس (ص : ٥٥) .

٢- لم تثبت المصادر التاريخية حادثة واحدة جرى فيها اكراه أحد من غير المسلمين على الاسلام ، ومن يدعي شيئا من ذلك فعليه أن يذكر الدليل .

٣- ان بقاء عدد لا بأس به من المسيحيين في شمال أفريقيا بعد الفتح الاسلامي أكثر من ثمانية قرون دليل على التسامح الاسلامي مع المخالفين وعدم اكراههم على تغيير عقائدهم ، بل ان المصادر التاريخية تثبت أن المسلمين لم يتعرضوا لهم بشأن اقامة شعائرهم الدينية ، فكان تناقصهم التدريجي اذن ناتج عن اعتناقهم الطوعي لدين الاسلام الحنيف .

يقول توماس آرنولد : " ان انحلال الكنيسة في بطء شديد لدليل على التسامح الذى لا بد أن تكون قد عوملت به هذه الكنيسة ، فقد وجد بعد الفتح الاسلامي بثلاثمائة سنة تقريبا ما يقرب من أربعين أسقفية لا تزال باقية هناك "[1] .

ويذكر آرنولد أنه في نهاية القرن الخامس عشر الميلادى كان لا يزال في مدينة تونس جماعة صغيرة من المسيحيين من أهالي هذه البلاد[2] .

---

(١) الدعوة الى الاسلام لتوماس آرنولد ، ترجمة حسن ابراهيم حسن وعبدالمجيد عابدين ، واسماعيل النحراوى (ص : ١٤٩) .

(٢) المصدر السابق (ص : ١٥٢) .

٣- العدل والمساواة :

* عدل الولاة :

لقد سار الحكام والولاة في شمال أفريقيا بالعدل والانصاف فلم يعتدوا على حرمات الناس أو يبخسوهم حقوقهم بل وردت روايات كثيرة تشير الى حرص ولاة شمال أفريقيا وحرص الخلفاء أيضا على اقامة العدل ودفع الظلم ، ومن هذه الروايات : أن سليمان بن عبدالملك الخليفة الأموى لم يقبل خراج أفريقيا الا مع عشرة من عدول القيروان يشهدون أن هذا المال أخذ من حقه .(١)

ومنها أن سليمان بن عبدالملك استشار رجاء(٢) بن حيوة فيمن يوليه أفريقيا فأشار عليه بمحمد(٣) بن يزيد ، فدعاه وقال له : " يا محمد بن يزيد اتق الله وحده لا شريك له ، وقم فيما وليتك بالحق والعدل ، وقد وليتك أفريقيا والمغرب كله " فودعه وانصرف وهو يقول : " ما لي عذر عند الله ان لم أعدل " ، فتولى محمد

---

(١) رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ١٢٧) .

(٢) رجاء بن حيوة : هو رجاء بن حيوة الكندى ، كان من عباد الشام ، وفقهائهم وزهادهم ، كان كبير المنزلة عند سليمان بن عبدالملك وعند عمر بن عبدالعزيز ، توفى سنة ١١٢ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي (جـ : ٤ ، ص : ٥٥٧) ، وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني (جـ : ٣ ، ص : ٢٦٥) .

(٣) هو : محمد بن يزيد القرشي بالولاء ، أرسله سليمان بن عبدالملك سنة ٩٧ هـ واليا عليها ، وعزله عمر بن عبدالعزيز سنة ٩٩ هـ .
انظر : الأعلام لخير الدين الزركلي (جـ : ٧ ، ص : ١٤٣) .

ابن يزيد وسار بأحسن سيرة وأعدلها (١) .

وكان يزيد بن حاتم يقول : " والله الذى لا اله الا هو ما هبت شيئا قط هيبتي رجلا واحدا يزعم أني ظلمته وأنا أعلم أن لا ناصر له الا الله (٢) " .

ولما تولى يزيد بن أبي مسلم شمال أفريقيا قتله البربر لكونه ظلوما غشوما فلم يسخط الخليفة الأموى يزيد بن عبدالملك لقتله بل كتب الى أهل البلاد : " اني لم أرض كما صنع يزيد بن أبي مسلم (٣) " .

وقد ترسخ في قلوب أهل شمال أفريقيا أن الخلافة والاسلام بريئان من الظلم ، وأنه اذا حدث من بعض الولاة فانه انحراف منهم عن جادة الصواب يتحملون وزره هم ولا يتحمله الاسلام . يقول ابن الأثير عن أهل شمال أفريقيا : " وكانوا يقولون لا نخالف الأئمة بما تجنى العمال (٤) " .

---

(١) انظر : البيان المغرب لابن عذارى المراكشي (ج : ١ ، ص : ٤٧) .

(٢) تاريخ أفريقية والمغرب للرقيق القيرواني (ص : ١٥٧) ، ويزيد بن حاتم : هو يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدى ، من القادة الشجعان ، تولى أفريقية لجعفر المنصور سنة ١٥٤ هـ ، واستمر واليا خمس عشرة سنة وثلاثة أشهر ، وكان جوادا شديد الشبه بجده المهلب في الدهاء والشجاعة ، توفى بالقيروان سنة ١٧٠ هـ .
انظر : الأعلام للزركلي (ج : ٨ ، ص : ١٨٠) .

(٣) الكامل لابن الأثير (ج : ٥ ، ص : ١٠) .

(٤) نسبه حسين مؤنس الى ابن الأثير - فتح العرب للمغرب (ص : ٣٩١) ولم يذكر اسم الكتاب ولا الصفحة ، وبحثت عنه في الكامل فلم أجده .

* عدل القضـــاة :

كان الخليفة في كثير من الأحيان لا يعين العامل - في شمال أفريقيا - فحسب بل يعين القاضي أيضا (١) ، ولعل في هذا اشارة الى أهمية ما يقوم به القاضي من فصل في الخصومات ، واشـــارة كذلك الى استقلال القضاء عن سلطـة الولاة .

وقد ضرب القضاة أروع الأمثلة في عدلهم بين المتخاصمـــين واعلانهم لحكم الاسلام دون خوف من كبير أو محابات لوال أو أمير.

شكى بعض المتظلمين الى عبدالله بن غانم قاضي القيروان مولى ابراهيم بن الأغلب أمير شمال أفريقيا لكونه اشترى منهم بغالا ولم يدفع اليهم ثمنها ، فتوجه القاضي الى الأمير ودعا مولاه ، فأقـر فقال عند ذلك : " انما ظننت أنه يحجد فأوقفه معهم موقـــف الخصوم (٢) ، فأما اذ أقر فاني لا أبرح حتى تدفع اليهم أموالهم ".

وكتب هارون الرشيد الى ابراهيم بن الأغلب يأمره باحضـــار رجل سماه الى ابن الأغلب ، وأن يأخذ منه عشرة آلاف دينـــار يوجهها اليه ، وهي حق لفتاه ويكون ذلك بحضرة القاضي عبدالله ابن غانم ، فلما حضر ابن غانم طلب أن يأتي الرسول بشاهدين عدلين أن أمير المؤمنين استخلفه على قبض المال ولا بد مـــن أن يشهد كذلك شاهدان من أهل الثقة أن هذا المال لأميرالمؤمنين

---

(١) انظر : فتح العرب للمغرب لحسين مؤنس (ص : ٢٧٦) .

(٢) رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ٢٢٣) .

أو لفتاه . فقال الرسول :" أو يكتب أمير المؤمنين بالباطل ؟ " فقال ابن غانم : " معاذ الله أمير المؤمنين أصدق وأكرم من أن يأخذ مالا بغير حله ولكن قد تخترق الأشياء دونه " ، ثم سئل ابراهيم بن الأغلب : " ما يقول الأمير" فقال : " أقول ما قال القاضي "[1] .

ولم تكن شجاعة القضاة في بيان الأحكام وعدم محاباتهم للكبراء والأعيان لتسوء الخلفاء أو الولاة بل كانت تسرهم وتفرحهم فهم أحرص ما يكونون على قيام العدل وسيادة الحق .

لما ولّى عمر بن عبدالعزيز رحمه الله اسماعيل بن عبيدالله بن أبي المهاجر على شمال أفريقيا دفع اليه كتابا بولاية عبدالله بن المغيرة قضاء أفريقيا وفيه[2] : " قد قلدت القضاء فيكم عبدالله بن المغيرة لما صح عندنا من دينه وزهده ونفاذه في علمه ومعرفته وثقته في نفسه وشدة ورعه " ،فتولى عبدالله بن المغيرة القضاء وسار فيهم بسيرة أهل العدل[3] .

ولما ولّى مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية عبدالرحمن بن زياد القضاء في شمال أفريقيا كتب بذلك كتابا يقول فيه : " قد

---

(١) رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ٢٢٣) .

(٢) من فضلاء التابعين ،روى عن سفيان بن وهب الخولاني رضي الله عنه ، روى عنه يحيي بن سعيد الأنصارى وابن أنعم ، سكن القيروان ، وتولى قضاءها .
رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ١٢٦) .

(٣) رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ١٢٧) .

ولاك أمير المؤمنين الحكومة والقضاء بين أهل أفريقية ، وأسند اليك أمرا عظيما وحملك خطبا جسيما فيه دماء المسلمين وأموالهم واقامة كتاب الله عز وجل وسنة نبيه والذود عن ضعيفهم من قويهم ، وانصاف مظلومهم من ظالمهم ، والأخذ من شريفهم بالحق لخاملهم ، وقد رجاك أمير المؤمنين لذلك لقوتك وعدلك وخيرك وحسبك وعلمك وتجربتك ، فعليك باتقاء الله عز وجل وحده لا شريك له ، وايثار الحق على ما سواه ، وليكن جميع الناس قويهم وضعيفهم في الحق عندك سواء "(١) .

وكان الخليفة هارون الرشيد والأمير ابراهيم بن الأغلب يكرمان عبدالله بن غانم ويجلانه ، فكان الخليفة اذا كتب كتابا الى ابراهيم بن الأغلب يقول في كتابه : " وأنا أعلمك أني لا أفك لك كتابا حتى يكون مع كتابك الى كتاب ابن غانم " ، فكان ابراهيم ابن الأغلب لذلك كثير الاكرام والمداراة لعبدالله بن غانم(٢) .

* المساواة :

لقد كانت المساواة بين المسلمين تامة كاملة لا تميز لجنس على جنس ولا تفضيل للون على لون الا بالتقوى والعمل الصالح ، فالمسلم له جميع الحقوق ، وعليه جميع الواجبات سواء كان عربيا أو بربريا روميا أو فارسيا ... الخ .

---

(١) رياض النفوس للمالكي (ج : ١ ، ص : ١٥٩) .

(٢) المصدر السابق (ج : ١ ، ص : ٢٢٦) .

وقد تمثلت المساواة بين المسلمين الفاتحين والمسلمين من أهل البلاد في شمال أفريقيا في أمور عديدة ، منها :

- أنهم يشاركون في الجهاد على قدم المساواة لا تقديم لأحد على أحد الا ببلائه في القتال وبراعته فيه ، ولذا فقد وصل الى قيادة الجيوش قادة مشهورون من البربر تقدموا بحسن بلائهم على أعداد كثيرة من العرب مثل هلال اللواتي البربري وطارق بن زياد البربري .
- وأنهم جميعا يتساوون في نصيبهم من الغنائم والأعطيات ، فالكل له نصيبه ، وله حظه الذي يأخذه، بالتساوي بين الجميع لا زيادة لأحد على أحد بسبب جنسه أو لونه أو بلده

كما اعتبر حسان بن النعمان رحمه الله ومن جاء بعده من الولاة أرض شمال أفريقيا مفتوحة صلحا لا عنوة فأقر البربر على ما بيدهم من الأرض ولم يجعلها غنيمة للمسلمين .(١)

وقد كان للعدل والمساواة أثرهما في تحبيب الاسلام الى قلوب أهل البلاد واعجابهم به وانضمامهم اليه . يقول الدكتور محمد طه الحاجري عن المساواة في نشر الاسلام في شمال أفريقيا :

" لعل من أول القيم الاسلامية التي جعلت تقرب ما بين عناصر هذا المجتمع ما جاء به الاسلام من المساواة بين أفراده وجماعاته فلا فضل للعربي الفاتح المنتصر على البربري المغلوب ، وقد تحول

---

(١) انظر : فتح العرب للمغرب لحسين مؤنس (ص : ٢٧٥ وما بعدها) .

اليه ، فقد جمع بينهما وجعلهما سواء في حق كل منهما على الدولة وواجبه لها ، وأشرك بينهما في الحرب والسلم ، في ميادين القتال يقاتلون معا عن العقيدة الواحدة ، وفي حلقات الدرس يتلقون معا هذه الثقافة الجديدة ، ويتشربون هذه المبادىء الاسلامية ، ستشعرين روح المودة ترفرف عليهم وتسرى في نفوسهم "(١) .

---

(١) دراسات وصور للدكتور محمد طه الحاجرى (ص : ٤٣) .

- الفصل الثالث -

(أشهر الدعاة)

* المبحث الأول : من القادة والولاة .

* المبحث الثاني : من العلماء .

- المبحث الأول -

(من القادة والولاة)

١- عقبة بن نافع الفهرى القرشي (١)

* حياته الخاصة :

هو عقبة بن نافع بن عبدالقيس بن لقيط بن عامر بن أمية الفهرى القرشي .

أبوه : نافع بن عبدالقيس الفهرى ، يتصل نسبه من جهة أمه بعمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه .

ولد قبل الهجرة بسنة واحدة ، ويقال ان له صحبة ولا يثبت هذا وان كان صحابي المولد (٢) .

كان للبيئة التي ولد فيها أثر كبير في شخصيته اذ كانت هذه البيئة بيئة عسكرية بحتة ، فعند فتح مكة كان عمره تسع سنوات ، وهي السن التي تبدأ فيها قدرات الانسان بالنمو والتكوين وقد تلا فتح مكة فتوح وغزوات في عهد الرسول صلّى الله عليه وسلّم وفي عهد خلفائه ، لا شك بأنه كان لها أثر في اذكاء روحه

---

(١) انظر : أخباره بالتفصيل في : الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (جـ : ٣ ، ص : ٨٠) ، رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ٣٢ و ص : ٣٢ ، و ص : ٣٤ ، و ص : ٩٧) ، سير أعلام النبلاء للذهبي (جـ : ٣ ، ص : ٥٣٢) ، قادة فتح المغرب لمحمود شيت خطاب (جـ : ١ ، ص : ٩٠).

(٢) أى ولد على عهد النبي صلّى الله عليه وسلّم .

القتالية ان لم يكن بالمشاركة فيها ضامعا لأخبارها ووقائعها .

فلما كان فتح مصر في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه شهدها مع عمرو بن العاص رضي الله عنه سنة عشرين الهجرية وعمره احدى وعشرين سنة ، كما تولى قيادة بعض السرايا لعمرو بن العاص تلك السرايا التي كانت تغير على أطراف شمال أفريقيا وذلك سنة احدى وعشرين أو اثنتين وعشرين الهجرية . فكان في مشاركته في فتح مصر وفي قيادته لبعض السرايا تدريب له وصقل لقدراته ، وتمهيد لتولية قيادة الجيوش التي تقوم بفتح شمال أفريقيا .

كما كان للبيئة التي نشأ فيها أثرها الملحوظ في تقواه وصلاحه وسعيه الدائب لنشر الدين الاسلامي وبذله جهده ونفسه في سبيل الله تعالى ، اذ كان الجيل الذى نشأ فيه جيل يكثر فيه صحابة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فكان يتأثر بهم ويسمع منهم ويأخذ عنهم توجيهات الرسول صلّى الله عليه وسلّم وسننه . استشهد رحمه الله تعالى سنة ٦٣ هـ .

* جهوده في الدعوة :

تمثل الجهد الدعوى لعقبة بن نافع رحمه الله تعالى في شمال أفريقيا في أمرين اثنين :

الأول : جهاده : فقد شارك عقبة بن نافع رحمه الله تعالى في فتح

شمال أفريقيا مشاركة فعالة ، فعقب السرايا الصغيرة التي قادها بتكليف من عمرو بن العاص رضي الله عنه والتي كانت تغير على أطراف شمال أفريقيا ، وفي سنة ٥٠ هـ عينه معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قائدا للجيوش في شمال أفريقيا ، فسار فاتحا الى أن وصل الى موضع القيروان فشرع في بنائها ، وقد أسلم عند بنائها كثير من البربر عندما نادى عقبة بالسباع والحيات لكي ترحل ، ورأى البربر شهد رحيلها (١) .

يقول ابن حجر : " روى خليفة باسناد حسن أن عقبة لما افتتح أفريقية وقف على القيروان فقال : " يا أهل هذا الوادى انا حالون فيه ان شاء الله ، فاظعنوا ، ثلاث مرات ، قال : فما نرى حجرا ولا شجرا الا يخرج من تحته دابة حتى هبطن بطن الوادى ، ثم قال انزلوا باسم الله " (٢) .

وقد كان لانشاء القيروان أثره البالغ في استقرار الاسلام في شمال أفريقيا ، يقول عقبة : " ان افريقية اذا دخلها امام تحوموا بالاسلام فاذا خرج منها رجع من كان أسلم بها وارتد الى الكفر ، وأرى لكم يا معشر المسلمين أن تتخذوا بها مدينة تجعل فيها عسكرا للمسلمين ، وتكون عزا للاسلام الى أول [كذا] الدهر " (٣) .

---

(١) الكامل لابن الأثير (جـ : ٣ ، ص : ٤٦٦) .
(٢) الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (جـ : ٣ ، ص : ٨٠) .
(٣) فتح العرب للمغرب لحسين مؤنس (ص: ١٤٠) نقلا عن نهاية الارب للنويرى (مخطوط) .

لذا فقد قويت شوكة المسلمين بعد بنائها ، وكان عقبة يرسل السرايا أثناء بنائها فتغير على ما جاورها وكثر دخول النـاس في الاسلام .

وفي سنة ٥٥ هـ عزل عقبة رحمه الله تعالى عن قيادة الجيوش في شمال أفريقيا ، فلما كانت سنة ٦٢ هـ أعاده يزيد بن معاويـة ابن أبي سفيان واليا على شمال أفريقيا وقائدا للجيوش بهـا ، فكانت ولايته الثانية التي سار فيها بحملته الكبرى الى أن بلـغ المحيط الأطلسي ، فأخضع المدن والقبائل وكان استشهاده فـي طريق عودته الى القيروان .

الثاني : مواعظـه :

تنقل كتب التاريخ عن عقبة خطبا ومواعظ تدل على مقدار صلاحـه وتقواه وحرصه على الالتزام بالاسلام ونشره بين الناس ، فمن ذلك: وقوفه بين جنده يعظهم ويقول : " أيها الناس ان أشرافكم وخياركم الذين رضي الله تعالى عنهم وأنزل فيهم كتابه بايعوا رسول اللـه صلّى الله عليه وسلّم بيعة الرضوان على قتال من كفر باللـه الى يوم القيامة وهم أشرافكم السابقون منكم الى البيعة باعـوا أنفسهم من رب العالمين بجنته بيعة رابحة ، وأنتم اليوم في دار غربة ، وانما بايعتم رب العالمين ، وقد نظر اليكم في مكانكـم هذا ولم تبلغوا هذه البلاد الا طلبا لرضاه واعزازا لدينه فأبشروا

فكلما كثر العدو كان أخزى لهم وأذل ان شاء الله تعالى ، وربكم عز وجل لا يسلمكم ، فالقوهم بقلوب صادقة ، فان الله عز وجل جعلكم أولي بأسه الذى لا يرد عن القوم المجرمين فقاتلوا عدوكم على بركة الله وعونه "[1] .

---

(١) رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ٣٧) .

٢- حسان بن النعمان (١)

* حياته الخاصة :

هو حسان بن النعمان بن عدى بن مغيث بن عمرو ، وهو من بيت الملوك الغساسنة الذين كانوا يحكمون في الشام ، وكانوا موالين للروم .

ولا نعرف شيئا عن نشأته أو سنة ولادته سوى ما سبق ذكره وأنه كان يتصف بالعقل والأمانة والورع والتقوى حتى لقد سمي " الشيخ الأمين " .

ومما يدل على أمانته ورجاحة عقله أنه حين عاد الى الشام من شمال أفريقيا جاء بماء وفير دفعه الى الخليفة الوليد بن عبدالملك ، فقال له الوليد : " جزاك الله خيرا يا حسان " ، فقال حسان : " يا أمير المؤمنين انما خرجت مجاهدًا في سبيل الله وليس مثلي يخون الله ولا الخليفة " ، فقال الوليد : " أنا أردك الى عملك وأحسن اليك وأنوه بك " ، فحلف حسان : " لا ألي لبني أمية أبدا " (٢) .

---

(١) انظر لأخباره بالتفصيل : البيان المغرب لابن عذارى المراكشي (جـ: ١ ، ص : ٣٤) ، سير أعلام النبلاء للذهبي (جـ : ٤ ، ص : ٤٠ و ص ٢٩٤) ، فتح العرب للمغرب لحسين مؤنس (ص : ٢٢٥ وما بعدها) و ص ٢٧٣) ، وما بعدها ، قادة فتح المغرب لمحمود شيت خطاب (جـ: ١ ، ص: ١٧٢) .

(٢) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذارى المراكشي (جـ : ١ ، ص : ٣٩) .

قيل توفى سنة ٨٠ هـ ،وهو قول ضعيف لأنه قدم من شمال أفريقيا الى الشام والخليفة الوليد بن عبدالملك الذى تولـــى الخلافة سنة ٨٦ هـ فوفاتـه بعد هذه السنة .

* جهوده في الدعـوة :

تولى حسان بن النعمان رحمه الله تعالى قيادة الجيوش الاسلامية في شمال أفريقيا لعبدالملك بن مروان سنة ٧٦ هـ ، واستطـاع أن يقضي قضاء يكاد يكون تاما على قوة الروم في شمال أفريقيـــا ، ويستولي على قاعدتهم " قرطاجنة "(١) ، كما استطاع أن يقضي علـى القوة الرئيسية للبربر بقضائه على ثورة " الكاهنة "(٢) فتم له فتـــح شمال أفريقيـا .

وقد سلك حسان بن النعمان سياسة حببت الاسلام الى قلوب البربر ، فقد اشترط لقبول أمان البربر أن يعطوه من جميـــع قبائلهم اثني عشر ألف فارس يقاتلون مع المسلمين(٣) ، فأجابه البربـر وأسلم هذا العدد الكبير من الجند على يديه .

وقد كان لمساواة حسان بن النعمان بين العرب والبربر فـي المشاركة في الجهاد دون تمييز لأحد على أحد ومساواته بينهـم في الغنائم والأعطيات(٤) أثره في اسلام كثير من البربر ، بـل ان حسان بن النعمان جعل أرض شمال أفريقيا مفتوحة صلحا ، فبقيت ملكا لأهلها ولم تؤخذ غنيمة للمسلمين الفاتحين .

(١) رياض النفوس للمالكي (جـ:١، ص:٤٨) . (٢) المصدر السابق (جـ:١، ص:٥٥).
(٣) المصدر السابق (جـ:١ ، ص:٥٦) .
(٤) فتح العرب للمغرب لحسين مؤنس (ص : ٢٧٤) .

وقد كان حسان بن النعمان حريصا على تقوية الدفاعات الاسلامية ضد أى هجوم خارجي ، فأنشأ مدينة "تونس" (١) ، لتكون ميناء حربيا اسلاميا يقف في وجه محاولات الروم للعودة الى شمال أفريقيا ، وأسس في هذه المدينة دارا لصناعة السفن الحربية حتى يستعين المسلمون بهذه السفن على ركوب البحر ومقاومة الأعداء .

(١) فتح العرب للمغرب لحسين مؤنس (ص : ٢٦٠ ، وص : ٢٧٣) .

٣- اسماعيل بن عبيدالله بن أبي المهاجر (١)

* حياتـه الخاصـــة :

هو أبو عبدالحميد اسماعيل بن عبيدالله بن أبي المهاجر مولى بني مخزوم ، قال الذهبي (٢) : " من الثقات العلماء " .

ولا نعرف شيئا عن سنة مولد اسماعيل بن عبيدالله بن أبـــي المهاجر ، ولا عن نشأته ، غير أن المصادر التاريخية تذكر أنـــه عمل مؤدبا في فترة من فترات حياته لأبناء الخليفة الأموي عبدالملك ابن مروان ، وقيل : ان عبدالملك قال له (٣) : " يا اسماعيل علـــم ولدى ولست أعطيك على القرآن ، انما أعطيك على النحو " .

وتجمع المصادر على تدينه وزهده ، قال معن التنوخي : " مـــا رأيت زاهدا في هذه الأمة غير اثنين : عمر بن عبدالعزيـــز ، واسماعيل بن عبيدالله المخزومي (٤) " . وقال رجاء : " وكان اسماعيـــل اذا قفل من الصائفة افترش ذراعه فنام عليه ، وكان هو وأم ولده وفرسه في بيت واحد زهدا في الدنيا وتواضعا (٥) " .

---

(١) انظر : لترجمة اسماعيل بن عبيدالله بن أبي المهاجر : رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ١٥) ، سير أعلام النبلاء للذهبي (جـ : ٥ ، ص : ٢١٣) ، تهذيب التهذيب لابن حجر (جـ : ١ ، ص : ٣١٧) ، البيان المغرب لابن عذارى (جـ : ١ ، ص : ٤٨) .

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (جـ : ٥ ، ص : ٢١٣) .

(٣) المصدر السابق (جـ : ٥ ، ص : ٢١٣) .

(٤) رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ١١٦) .

(٥) المصدر السابق (جـ : ١ ، ص : ١١٧) .

توفى سنة ١٣٢ هـ قبل دخول بني العباس دمشق بثلاثة أشهر .

* جهوده في الدعوة :

تجمع الكتب التاريخية على الدور الكبير الذى قام به اسماعيل بن عبيدالله بن أبي المهاجر في اسلام سكان شمال أفريقيا .

يقول ابن عذارى المراكشي : " ولي اسماعيل بن أبي المهاجر أفريقية من قبل أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز ، فكان خير أمير وخير وال ، وما زال حريصا على دعاء البربر الى الاسلام حتى أسلم بقية البربر بافريقية ، على يديه ، وهو الذى علم أهل أفريقية الحلال والحرام ، وبعث معه عمر رضي الله عنه عشرة من التابعين أهل علم وفضل ... وكانت الخمر بافريقية حلالا حتى وصل هؤلاء التابعون فبينوا تحريمها رضي الله عنهم "(١) .

وجاء في رياض النفوس للمالكي : " وكان حريصا على دعاء البربر الى الاسلام "(٢) ، وجاء فيه : " وأسلم على يديه خلق كثير من البربر "(٣) .

وهكذا نجد أن اسماعيل بن عبيدالله بن أبي المهاجر بما اتصف به من علم وزهد يجعل هدفه موجها لنشر الاسلام بين البربر فتغلب على ولا يته صفة الدعوة ، وتثمر جهوده عن اسلام عدد كبير جدا من البربر بحيث صار طابع البلاد في زمنه طابعا اسلاميا بحتا .

---

(١) البيان المغرب لابن عذارى (جـ : ١ ، ص : ٤٨) .
(٢) رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ١١٦) .
(٣) المصدر السابق (جـ : ١ ، ص : ١١٦) .

٤ - ابراهيم بن الأغلب [1]

* حياتـــه الخاصة :

هو ابراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقال التميمي ، اتصف بصفات عديدة أهلته للامارة وجعلت منه حاكما موصوفا بالعلم والحـــزم والعدل .

يقول ابن عذارى المراكشي : " كان ابراهيم بن الأغلب فقيهـا أديبا شاعرا خطيبا ، ذا رأى ونجدة وبأس وحزم وعلم بالحـــروب ومكايدها ، جرئ الجنان طويل اللسان .." [1] ، ويقول : " وكـان حافظا للقرآن عالما به " [2] .

سمع من الليث بن سعد في مصر ووهب له الليث أم ولـــده " جلاجل " - يعني التي صارت أما لولد ابراهيم بن الأغلب - ممـــا يدل على مكانة ابراهيم عنده ، وعلى ما كان لابراهيم من حظ وافر في طلب العلم والتتلمذ على العلماء . وقد قال الليث مبديـــا اعجابه بما ظهر على ابراهيم من علائم الذكاء والنجابة : " ليكونـن لهذا الفتى شأن " [4] ، وقد كان ! . توفى سنة ١٩٦ هـ .

---

(١) انظر لأخباره : البيان المغرب لابن عذارى المراكشي (جـ:١ ، ص : ٩٢)، دائرة المعارف الاسلامية لمجموعة من المستشرقين (جـ : ١ ، ص: ٣٦)، الأعلام للزركلي (جـ : ١ ، ص : ٣٣) .

(٢) البيان المغرب لابن عذارى (جـ: ١ ، ص : ٩٢) .

(٣) المصدر السابق (جـ : ١ ، ص : ٩٢) .

(٤) المصدر السابق (جـ : ١ ، ص : ٩٢) .

* جهوده في الدعوة :

ولاه هارون الرشيد على أفريقية سنة ١٨٤ هـ ، فكان عادلا في حكمه ، حسن السيرة في رعيته ، محمود الصفات والفضائل . يقول ابن عذارى : " لم يل أفريقية أحسن سيرة منه ولا أحسن سياسة ولا أرأف برعية ولا أوفى بعهد ولا أرعى لحرمة منه ، فطاعت له قبائل البربر وتمهدت أفريقيا في أيامه "(١) .

ويقول أيضا : " ولما ملك أفريقيا قمع أهل الشر بها وضبط أمرها "(٢) .

ولا شك بأن العدل في الحكم وحسن السيرة في الرعية وقمع الشر اذا كان من حاكم مسلم عالم فقيه كما هي حال ابن الأغلب ، كان من أفضل القربات التي يتقرب بها الى الله تعالى وكان من أعظم وسائل الدعوة الى الاسلام ، حيث يقبل عليه الناس معجبين بما فيه من عدل واصلاح .

وقد ساهم ابراهيم بن الأغلب كذلك في حركة الاحياء والتعمير فبنى مدينة العباسية قريبا من القيروان وجعلها عاصمة لملكه ، ولا يخفى ما لحركة التعمير من أثر في التقريب بين عناصر المجتمع والمزج بين أفراده وقيام المراكز العلمية التي تبث العلم وتنشر الاسلام .

---

(١) البيان المغرب لابن عذارى (جـ : ١ ، ص : ٩٢) .

(٢) المصدر السابق (جـ : ١ ، ص : ٩٢) .

٥ - ادريس الثاني (١)

* حياته الخاصة :

هو ادريس بن ادريس بن عبيدالله بن الحسن الهاشمي ، ثاني ملوك الأدارسة في المغرب الأقصى .

توفى والده وهو جنين في بطن أمه ، وولد سنة ١٧٧ هـ فكفله مولاه " راشد " وعلمه القرآن حتى حفظه وهو ابن ثمان سنين ، ثم علمه الحديث والسنة والفقه في الدين والعربية .

فلما تم لادريس احدى عشرة سنة بايعه البربر سنة ١٨٨ هـ وكان جوادا فصيحا حازما عادلا .

وقد حكم مدة طويلة حيث كانت وفاته سنة ٢١٣ هـ .

* جهوده في الدعوة :

كان لانتساب ادريس الثاني الى أهل البيت وتربيته الدينية أثرهما في ظهور حكمه بالمظهر الاسلامي الدعوى .

عندما بايعه البربر في الجامع ، صعد المنبر فخطب فيهم وقال : " الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأستعين به وأتوكل عليه وأعوذ به من شر نفسي ومن شر كل ذى شر ، وأشهد أن

---

(١) انظر لأخباره : البيان المغرب لابن عذارى (جـ : ١ ، ص : ٢١٠) ، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى للناصرى (جـ : ١ ، ص : ١٤٦) ، الأعلام للزركلي (جـ : ١ ، ص : ٢٧٨) .

لا اله الا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله المبعوث الى الثقلين بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، صلّى الله عليه وعلى آل بيته الطاهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا . أيها الناس إنّا قد ولينا هذا الأمر الذى يضاعف فيه للمحسن الأجر وعلى المسيء الوزر ، ونحن والحمد لله على قصد ، فلا تمدوا الأعناق الى غيرنا فان الذى تطلبونه من اقامة الحق انما تجدونه عندنا "(١) .

وقد أحسن ادريس الثاني تدبير الملك وأقام العدل فأحبته الرعية ، وانقادت له البربر .

ووفد على ادريس الثاني وفود كثيرة من العرب ، جاؤوه من المشرق ومن الأندلس ، فأحسن استقبالهم حتى اجتمع لديه منهم ما يزيد عن خمسمئة فارس ، وقد استوزر من هؤلاء الوافدين واستقضى واستعان بهم في تدبير شؤون الملك .

وقد احتاج بسبب كثرة الوافدين الى أن يؤسس مدينة جديدة هي مدينة " فاس " وذلك في سنة ١٩٢ هـ .

ولقد كان لحسن استقباله لهؤلاء الوافدين واستعانته بهم أعظم الأثر في توطد ملكه وبقاء سلطانه ورسوخ الاسلام في هذه البلاد وانتشاره بين سكانها .

---

(١) الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى للناصرى (ج : ١ ص : ١٤٧) .

فكانت مدينة فاس مركزا علميا ودينيا اسلاميا أخذ يشع بأنواره على المغرب كلـه ، ويقصده الناس للتفقـه في الدين ، والـتزود من العلـم .

وقام ادريس الثاني بالجهاد في سبيل نشر الاسلام فـي المغرب الأقصى أيضا ، فغزا بلاد بعض القبائل البربرية فأسلمـت لـه ومنحتـه طاعتهـا .

- المبحث الثانـــي -

(من العلمـــــاء)

١- عبدالرحمن بن زيـاد بن أنعـــــم (١)

* حياته الخاصة وطلبه للعلم :

هو أبو أيوب ، ويقال أبو خالد عبدالرحمن بن زياد بن أنعم بـن ذرى بن يحمد المعافرى الشعبانى .

ولد بافريقية سنة ٧٤ هـ أو ٧٥ هـ ، وكان أول مولود ولـــد في الاسلام بعد فتحها ، وكان مسكنه في القيروان .

كان منسوبا الى الزهد والورع والصلابة في الدين والاشتغال بالعلم .

ارتحـل الى الحجاز والعراق ، وروى عن أبيه وعن أبي عبدالرحمن الحبلـي وعبدالرحمن بن رافع التنوخي وأبي عثمان مسلم بن يسـار وغيرهـم . توفى سنة ١٦١ هـ في القيروان ، وشهد جنازته الأمير يزيد بن حاتم ، فلما رأى ازدحام الناس على تشييعه وكثرتهـــم تمثل بقول الشاعـــر :

يا كعب ما راح من قوم ولا ابتكروا ... الا وللموت في آثارهم حـادى

---

(١) انظر لترجمته : تهذيب التهذيب لابن حجـر (جـ : ٦ ، ص : ١٧٣) رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ١٥٢) .

* جهوده في الدعـوة :

١- نشره للعلم : كان عبدالرحمن بن زياد متفننا في علوم كثـيرة ، لذا سمع منه وروى عنه عدد كبير من التلاميذ ، منهم محدثـون كبار وعلماء أجلة ، فقد سمع منه سفيان الثورى وكان يجله ويعظم قدره ، وعبدالله بن لهيعة وعبدالله بن المبارك وأبو خيثمـة وأبو أسامة رشدين بن سعد وغيرهـم (١) .

٢- جهـاده : ذكر المترجمون لعبدالرحمن بن زياد أنه شارك فـي قتال الروم فأسروه ، وقد أطلقه كبيرهم لما رأى عليه من علائـم الصلاح والزهد وقيل فداه أبو جعفر المنصور منهم ففكوا أسره (٢) .

٣- انكاره للمنكـر : ومما يذكر عن عبدالرحمن بن زياد أنه لما قـدم عبدالرحمن بن زياد على أبي جعفر المنصور سأله المنصور : " مـا رأيت في طريقك ؟ " قال : " ما زلت في منكر وجور عظيم حـتى قدمت عليك " ، فقال له أبو جعفر : " ما نعمل ؟ ، ما نصنـع ؟ لا يلي لنا مثلك " (٣) .

٤- توليـه للقضاء : تولى عبدالرحمن بن زياد قضاء القيروان، وكان محمود السيرة في قضائه ، سار في حكمه بين الناس بالعدل ولـم يقبل من أحد صلـة ولا هدية ، وكان يقول : " اذا رأيـت

---

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر (جـ : ٦ ، ص : ١٧٣) .
(٢) رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ١٥٥) .
(٣) المصدر السابق (جـ : ١ ، ص : ١٥٦) .

الهدية دخلت دار القاضي من باب الدار فاعلم أن الأمانة قد خرجت من كوة الدار "[1] .

وكان جريئا في قضائه غير مداهن في حكمه لا يهاب مكانة لكبير ولا يخشى سطوة لأمير ..

والعدل في القضاء ما دام من عالم مسلم فانه يعد وسيلة للدعوة وطريقا من طرق التأثير في الناس وجذبهم الى الاسلام .

---

(١) رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ١٥٨) .

٢ - عبدالله بن فروخ الفارسي (١)

* حياته الخاصة وطلبه للعلم :

هو أبو محمد عبدالله بن فروخ الفارسي .

يقال : ان مولده كان في الأندلس سنة ١١٥ هـ ، ثم سكن القيروان واستوطنها .

كان صالحا عابدا متواضعا ، جريئا في انكار المنكر مباينا لأهل البدع مشتغلا بالعلم .

رحل الى المشرق فزار مصر والحجاز والعراق ، وسمع من جماعة من العلماء منهم : أبو حنيفة النعمان وزكريا بن أبي زائدة ومالك بن أنس وسفيان الثوري والأعمش وابن جريج وهشام بن عروة وغيرهم رحمهم الله تعالى .

ترك أفريقية الى المشرق لأداء الحج فتوفي في مصر بعد عودته من الحج سنة ١٧٥ هـ ، وكان لوفاته وقع عظيم في نفوس أهل العلم في مصر حتى قالوا : " طمعنا أن يكون خلفا من الليث "(٢) .

---

(١) انظر لترجمته : تهذيب التهذيب لابن حجر (جـ : ٥ ، ص : ٣٥٦) ، ورياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ١٧٦) .

(٢) رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ١٧٨) .

* جهوده في الدعـــوة :

١- نشره للعلم : تفقه عبدالله بن فروخ وأخذ عن العلماء ، وكـــان اعتماده على الامام مالك في أحكامه وفتاويه وربما مال الى مذهـــب أهل الرأى في بعض المسائل اذا تبين له أن الحق معهـــم ، وكان الامام مالك يكرمه فيقول لأصحابه : " هذا فقيه أهل المغرب".(١)

وقد قام عبدالله بن فروخ بالتعليم بعد أن توفرت له أسبابه فأخذ العلم عنه عدد كبير من التلاميذ منهم سعيد بن أبي مريم وخلاد بن هلال وعمرو بن الربيع وهشام بن عبيدالله . وقد كـــان الناس يستفتونـــه فيما يعرض لهم من قضايا ومشكلات ، فيبين لهم حلولها وأحكامها .(٢)

٢- انكاره للمنكـــر : عرف عن عبدالله بن فروخ رحمه الله تعالى جرأته في انكار المنكر وعدم هيبته للأمراء والملوك ، أرسل له يزيد بـــن حاتم أمير أفريقية يسأله عن دم البراغيث في الثوب هل تجـــوز الصلاة به ؟ ، فقال : " ما أرى به بأسا " ، ثم قال بحضرة الرسول :" يسألوننا عن دم البراغيث ولا يسألوننا عن دماء المسلمين التي تسفك".(٣)

وسئل : ما تقول في المعتزلة ؟ فقال :" وما سؤالك عن المعتزلة؟ فعلى المعتزلة لعنة الله قبل يوم الدين وبعد يوم الدين وفي طول دهـــر الداهـــرين".(٤)

---

(١) رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ١٧٧) .
(٢) المصدر السابق (جـ : ١ ، ص : ١٨٢) .
(٣) المصدر السابق (جـ : ١ ، ص : ١٨٤) .
(٤) المصدر السابق (جـ : ١ ، ص : ١٨٦) .

٣ - البهلول بن راشد الحجرى (١)

* حياته الخاصة وطلبه للعلم :

هو البهلول بن راشد الحجرى الرعيني .

ولد سنة ١٢٨ هـ ، وكان من الفقهاء ، ولكن غلبت عليه العبادة ارتحل الى المشرق ولقي الامام مالكا الذى نظر اليه وقال : " هذا عابد بلده " (٢) .

رحل الى الحجاز ومر بطريقه اليها بمصر وسمع من الامام مالك والليث بن سعد وسفيان الثورى والحارث بن نبهان وابن أنعم وغيرهم .

وكان تقيا صالحا بعيدا عن الكبر قال له رجل : " يا بهلول يا مرائي " ، فقال له البهلول : " قد أخبرتها بذلك - يعني نفسه - فأبت علي ولم تقبل مني فاجتمع عليها شهادتك وعلمي بها فشهادة اثنين خير من شهادة واحد " (٣) .

وكان زاهدا ورعا مبتعدا عن الشبهات أتى هرثمة ابن أعين وهو أمير أفريقية الى البهلول برجاله وكان في المسجد مستندا

---

(١) انظر لترجمته : رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ٢٠٠) ، معالم الايمان في معرفة أهل القيروان للدباغ (جـ : ١ ، ص : ٢٦٤) .
(٢) رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ٢٠٢) .
(٣) المصدر السابق (جـ : ١ ، ص : ٢١٠) .

الى عمود فمال هرثمة عن السرج لينزل ، فلما رآه لم يرفع رأسه اليه ولم ينهض الى القيام ، رجع الى سرجه ، وأمر بعض أعوانه أن يدفع اليه مالا ويقول له : يأمرك الأمير أن تفرقه ، فقال البهلول له : " قل له أنت أعرف بموضعه مني " (١) ، وأبى أن يقبله .

وحضر طعاما في دار ابن غانم عند المغيب وكان شهر رمضان فلم يأكل ، فقال له ابن غانم : مالك لم تأكل أما كنت صائما " فقال البهلول : سبحان الله ألا أصوم رمضان ؟ ، فقال ابن غانم : أفسلطان أنا طعامي حرام " ، فجعل البهلول يعتذر اليه ويقول : " طعامك لا أجد في بيتي مثله وان تكلفته شق ذلك علي " (٢) . توفى رحمه الله تعالى سنة ١٨٣ هـ .

* جهوده في الدعوة :

١- نشره للعلم : سمع العلم من البهلول عدد كبير من التلاميذ منهم سحنون بن سعيد وعون بن يوسف وأبو زكريا الحفرى والقعنبي وغيرهم .

والغالب عليه في الفقه الأخذ بآراء مالك ، وربما مال الى أقوال الثورى . وقد نفع الله بعلمه لصلاحه وتقواه . قال سحنون : " مثل العلم القليل في الرجل الصالح مثل العين العذبة في الأرض العذبة ، يزرع عليها صاحبها زرعا فينتفع به ، ومثل العلم الكثير في الرجل غير الصالح مثل العين الخرارة في الأرض السبخة

(١) رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ٢٠٧) .
(٢) المصدر السابق (جـ : ١ ، ص : ٢١٠) .

تهدر الليل والنهار لا ينتفع بها ... هذا البهلول كان رجـــلا صالحا ولم يكن عنده من الفقه ما عند غيره نفع الله تعالى به . وذكر رجلا آخـر صحب السلطان فقال : " انه بحر من البحـــور ما نفع اللـه بعلمـه "(١) .

٢- انكـاره للمنكـر : كان البهلول بن راشد شديدا على أهل البدع فكان يقاطعهم ولا يتصل بهم ولا يصلي خلفهم ، وكان سحنـــون يقول : " انما اقتديت في ترك السلام على أهل الأهواء والصـــلاة خلفهم بمعلمي بهلول "(٢) .

وجاءه رجل من أهل الأهواء يعوده ، فلما انتهى الى داره قال : قولوا له : " ان كنت على رأيك فلا تقربنا "(٣) .

وكان في زمان محمد بن مقاتل العكي أمير أفريقيا فكتب اليـه ملك الروم أن يبعث اليه بالنحاس والحديد والسلاح ، وكان بينهما ملاطفـة ، فلما عزم العكي على ذلك أنكر عليه البهلول ، فبعـــث اليـه العكي وضربه ، فكان هذا الضرب سبب موته .

٣- وعظـــه : كان عند البهلول بن راشد شاب يطلب عليه العلم ثم تركه وأقبل على المنكرات ، فلما علم البهلول بذلـك قام بنصحه ووعظه

---

(١) رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ٢١٣) .
(٢) المصدر السابق (جـ : ١ ، ص : ٢١٣) .
(٣) المصدر السابق (جـ : ١ ، ص : ٢١٣) .

والرفق به الى أن رجع عما كان عليه ، وعاد الى مجالس البهلول.[1]

وكان يقول : " ما أعمال البر كلها عند الجهاد في سبيل الله تعالى الا كبصقة في بحر ، وما أعمال البر كلها والجهاد عند طلب العلم الا كبصقة في بحر "[2] .

---

(١) رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ٢٠٩) .

(٢) المصدر السابق (جـ : ١ ، ص : ٢١١) .

٥ - علي بن زياد العبسي (١)

* حياته الخاصة وطلبه للعلم :

هو أبو الحسن علي بن زياد العبسي التنوخي ، ولد بطرابلس ثم انتقل الى تونس فسكنها ،كان ثقة مأمونا متعبدا بارعا في الفقه ، كان سحنون بن سعيد يقول : " ما بلغ البهلول شسع علي بن زياد (٢) " وضرب سحنون يده الى شسع نعله .

وكان يقول أيضا (٣) : " ما انتجت أفريقيا مثل علي بن زياد " ويقول (٤) : " ما فاقه المصريون الا بكثرة سماعهم " .

ارتحل الى الحجاز والعراق في طلب العلم ، سمع من خالد ابن أبي عمران ومن الامام مالك وسفيان الثورى وعبدالله بن لهيعة وغيرهم (٥) . توفى سنة ١٨٣ هـ .

* جهوده في الدعوة :

١- نشره للعلم : أخذ العلم عن علي بن زياد عدد كبير من التلاميذ منهم : البهلول بن راشد ، وسحنون بن سعيد وأسد بن الفرات وغيرهم .

---

(١) انظر لترجمته : رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ٢٣٤) وترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الامام مالك للقاضي عياض (جـ : ١ ، ص : ٣٢٦) .

(٢) و(٣) و(٤) رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ٢٣٥) .

(٥) ذكر المالكي تاريخ وفاته في ترجمة البهلول بن راشد . انظر : رياض النفوس (جـ : ١ ، ص : ٢٠١) .

وهو معلم سحنون بن سعيد الفقه . وكان أسد بن الفرات يقول : " اني لأدعو الله عز وجل لعلي بن زياد مع والدى لأنه أول من تلقيت العلم عليه "(١) .

وهو أول من أدخل موطأ الامام مالك وجامع سفيان الثورى الى المغرب .

وكان الناس يستفتونه فيما يعرض لهم من قضايا وأحكام . قال سحنون : " كان البهلول يكاتب عليا الى تونس يستفتيه في أمور الديانة وكان أهل العلم بالقيروان اذا اختلفوا في مسألة كتبوا بها الى علي بن زياد ليخبرهم من على الصواب فيها "(٢) .

٢- انكاره للمنكر : كان علي بن زياد قائما بانكار المنكر والرد على أهل البدع ، فمن ذلك انكاره على المعتزلة في مسألة القدر، روى المالكي عن جعفر بن قطويه قال : " مر علي بن زياد بأبي محرز وعنده الطلبة فقال له : " يا أبا محرز ما الذى أراد الله سبحانه وتعالى من عبادة ؟ قال : الطاعة . فقال له : وما الذى أراده ابليس منهم ؟ فقال له : المعصية . فقال له : " أى الارادتين غلبت ؟ فقال له أبو محرز :" أقلني أقالك الله تعالى " فقال له علي : " والله لا أقيلك حتى تتوب عن بدعتك " ثم التفت علي بن زياد الى الطلبة فقال : شاهت الوجوه ، أفمن هذا تسمعون ؟ " .

---

(١) رياض النفوس للمالكي (ج : ١ ، ص : ٢٣٤) .
(٢) المصدر السابق (ج : ١ ، ص : ٢٣٥) .
(٣) المصدر السابق (ج : ١ ، ص : ٢٣٦) .

٤ - عبدالله بن عمر بن غانم (١)

* حياته الخاصة وطلبه للعلم :

هو أبو عبدالرحمن عبدالله بن عمر بن غانم بن شرحبيل بن ثوبان الرعيني . ولد سنة ١٢٨ هـ .

رحل الى المشرق ولقي الامام مالكا في المدينة ، كما لقي سفيان الثورى وسمع منه ، ورحل الى الشام والعراق ولقي أبا يوسف صاحب أبي حنيفة . كما سمع من عبدالرحمن بن زياد بن أنعم واسرائيل بن يونس وأبو يوسف القاضي وغيرهم .

كان لين الجانب متواضعا مر به رباح بن يزيد وبيد رباح اناء فيه زيت فقال له ابن غانم : " أحمله لك يا أبا يزيد ؟ فقال له رباح : " شأنك بك " وكان ابن غانم في ذلك الوقت على القضاء فأخذ رباح بن يزيد يشق به مجامع الناس حتى وصل الى داره ، ثم قال له : " أتدرى لم فعلت هذا بك ؟ قال : لا . قال : بلغني أنك تجد في نفسك فأحببت أن أضع منك " فقال له ابن غانم : " جزاك الله عني خيرا (٢) " .

توفى سنة ١٩٠ هـ وصلّى عليه ابراهيم بن الأغلب أمير أفريقية

---

(١) انظر لترجمته : رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ٢١٥) ، وتهذيب التهذيب لابن حجر (جـ : ٥ ، ص : ٣٣١) .

(٢) رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ٢١٧) .

ولما بلغ ابن وهب موته غمه ذلك غما شديدا وقال : " انا لله وانا اليه راجعون رحمك الله يا أبا عبدالرحمن ، فلقد كنت قائما بهذا الأمر " ، يقول المالكي : " يعني الفقه والعلم " (١) .

* جهوده في الدعوة :

١- نشره للعلم : سمع العلم من عبدالله بن عمر بن غانم عدد من التلاميذ منهم : عبدالله بن مسلمة القعنبي . وكان لعبدالله بن غانم مجالس يجلس فيها للتدريس ونشر العلم ، فقد قال سحنون ابن سعيد : " قرأ علينا ابن غانم كتابا من " الموطأ " فقال له رجل : " يا أبا عبدالرحمن أيعجبك هذا من قول مالك ؟ فقال ابن غانم بعد أن ألقى الكتاب من يده : " أليس وصمه علي في ديني وعقلي ، ان أرد على مالك قولة قالها ؟ والله لقد أدركت العباد الذين يتورعون عن الذر فما فوقه - سفيان ، ودون سفيان - فما رأيت بعيني أورع من مالك " (٢) .

٢- توليه القضاء : تولى عبدالله بن غانم قضاء أفريقيا ، وكان عادلا في قضائه شجاعا في أحكامه لا يهاب الولاة والكبراء .

وقد كان له مكانة وهيبة عند كبار القوم ، خرج ابراهيم بن الأغلب وهو أمير أفريقيا الى المسجد لأداء صلاة العشاء فعثر

---

(١) رياض النفوس للمالكي (ج : ١ ، ص : ٢١٧) .

(٢) المصدر السابق (ج : ١ ، ص : ٢١٧) .

على حصير فسقط ، فلما صلّى الناس بعث في طلب ابن غانم فلما دخل عليه قال له : " يا أبا عبدالرحمن اني لم أبعث اليك الا لخير ، اني لما دخلت المسجد اشتغل قلبي عن حفظ نفسي فعثرت على حصير فسقطت فظننت بالناس أنهم حسبوا أني منتبذ فأحببت أن تكون براءتي عندك ولا أبالي بغيرك فاستنكهني " ، فاستنكهه ابن غانم فوجده بريئا مما قال "[1] .

وكان ورعا ملتزما لحدود الشرع ، ذكر المالكي عن عبدالله بن سعيد بن الحداد عن أبيه أنه قال : " حدثت عن القاضي ابن غانم أن اليوم الذى كان يجلس فيه للنظر بين النساء يلبس فروا دنيا (خشنا) ويلقي عينيه بالأرض ، والذى لم يكن رآه قبل ذلك الوقت يتوهم أنه مكفوف البصر . وكان يزيل الكتاب والحجاب من بين يديه اذا جلس للنظر بين النساء "[2] .

وكان يتحرى العدل ولا يتعجل في الحكم خشية أن تزل به القدم . قال ابن الحداد : " وبلغني أنه كان اذا أشرف على انفاذ حكم لأحد يصلي حزبه من الليل ، فاذا جلس في آخر صلاته عرض من أراد أن يحكم له على الله عز وجل ويقول : " اللهم ان فلانا خاصم الي فلانا ، وادعى عليه بكذا وكذا ، فسألت فلانا عما ادعى عليه فأنكر ، فسألت فلانا هل عنده فيما يدعيه بينة

---

(١) رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ٢٢٧) .

(٢) المصدر السابق (جـ : ١ ، ص : ٢٢٧) .

فأحضرني بينة فرضيت حالها وصحت عندى عدالتها بكشفي عنها سرا وعلانية، وقد أشرفت على أن أدفع من مال فلان الى فلان كذا وكـــذا . اللهم ان كنت أشرفت من ذلك على حق وأمر ترضاه فسددني لـه ووفقني ، وان كنت لم أوفق ولم يكن ذلك كذلك فاصرفه عـــني . اللهم لا تسلمني اللهم سلمني " ، فلا يزال يعرض الخصوم على ربـه عز وجل ويسأله التوفيق والتسديد حتى يطلع الفجر .(١)

(١) رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ٢٢٨) .

٦ - أسد بن الفرات (١)

* حياته الخاصة وطلبه للعلم :

هو أبو عبدالله أسد بن الفرات بن سنان مولى بني سليم رحمه الله تعالى ، أصله من خراسان ، ولد بحران سنة ١٤٢ هـ.

قدم القيروان مع والده سنة ١٤٤ هـ وعمره سنتان . سمع من علي بن زياد " الموطأ " وتعلم منه العلم في " تونس " ثم ارتحل الى المشرق سنة ١٧٢ هـ فلقي مالكا وأخذ عنه وسمع منه " الموطأ" ثم ارتحل الى العراق فلقي أصحاب أبي حنيفة أبا يوسف ومحمد ابن الحسن وغيرهما . ثم ارتحل الى مصر فوجد أصحاب مالك بكثرة فلازم ابن القاسم وأخذ عنه " الأسدية " .

توفي بسبب جراح أصابته وهو في جهاد الروم في جزيرة " صقلية " سنة ٢١٣ هـ .

* جهوده في الدعوة :

١- نشره للعلم :

أخذ العلم عن أسد بن الفرات رحمه الله تعالى تلاميذ كثيرون، منهم : سحنون ومعمر بن منصور ومحمد بن وهب ومحمد بن قادم وأبو المنهال وسليمان بن عمران وغيرهم .

---

(١) انظر لترجمته : رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ٢٥٤) ، وترتيب المدارك للقاضي عياض (جـ : ٢ ، ص : ٤٦٥) .

وقد علم القرآن في قرية على وادى " بجردة " عندما بلغ عمره ثماني عشرة سنة قبل أن يرتحل الى المشرق .

ولما عاد من المشرق قدم بالأسدية الى القيروان فسمعها منه خلق كثير وهي أسئلة كان يوجهها لابن القاسم في مصر فيجيبه عليها ، كما سمع منه الموطأ .

وليس هذا فحسب ، بل ان أسدا أظهر كثيرا من الكتب الأخرى وأسمعها الناس فانتشرت بافريقية وذاع فضله وعرفت امامته .

وكان لأسد مجالس يعلم فيها الناس ، قال أبو سنان : " كان أسد اذا سرد أقوال العراقيين يقول مشايخ كانوا يجالسونه ممن يذهب الى مذاهب أهل المدينة - " أوقد القنديل الثاني يا أبا عبدالله " فيسرد أقوال المدنيين " (١) .

وكان الناس يستفتونه فيما يعرض لهم من قضايا ومشكلات . عن أبي سنان الفقيه أنه قال : " كنت جالسا عند البهلول وأتاه رجل فقال : اني أمرت ابني بشيء وقلت له : " ان لم تفعله فأمك طالق ان قدرت لك على حال لا رددته عليك " فلم يجبه بشيء وسكت عنه الى أن جاء أسد ، فقال له : " سل هذا " فسأله عن المسألة فأجابه أسد (٢) .

---

(١) رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ٢٦٦) .

(٢) المصدر السابق (جـ : ١ ، ص : ٢٦٨) .

وكانت الأسئلة تأتيه من البلاد البعيدة نظرا لاشتهاره بالعلم قال المالكي : " قال سليمان وكتب الي رجل ... من طلبة العلم أن أسأل أسدا عن النبيذ ،أحلال هو أم حرام ؟ ، فسألت أسد عن ذلك فقال : " ان النبيذ أخبث الخبائث ليس تقوم بالنبيذ عبادة ولا صيام ولا صلاة ولا جهاد ولا صدقة ، انما يقوم به مزمار أو عود أو طنبور .. " (١) .

والمشهور عن أسد بن الفرات أنه يأخذ من أقوال المدنيين والعراقيين بما ترجح عنده لسعة اطلاعه على مذاهب الفريقين ومعرفته باستدلالاتهم وتوجيهاتهم .

ولم يكن جهد أسد بن الفرات رحمه الله تعالى قاصرا على نشر الفقه واسماع الحديث فقد كان يفسر الآيات ويعرض لأمور العقيدة . قال أبو سليمان داود بن يحيى رأيت أسد بن الفرات يعرض التفسير فتلا هذه الآية ((فاستمع لما يوحى انني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني)) (٢) ، فقال أسد عند ذلك : " ويل لأهل البدع هلكت هوالكهم يزعمون أن الله عز وجل خلق كلاما يقول ذلك الكلام المخلوق ((لا اله الا أنا)) (٣) .

وكان يقول : " ان الله على العرش بلا كيف ، ويرى في الأخرى كيف يشاء لا كما يشاء العباد " (٤) .

---

(١) رياض النفوس للمالكي (ج : ١ ، ص : ٢٦٨) .
(٢) سورة طه ،آية (١٢-١٣) .
(٣) رياض النفوس للمالكي (ج : ١ ، ص : ٢٦٥) .
(٤) المصدر السابق (ج : ١ ، ص : ٢٦٤) .

٣- تولية القضاء ومشاركته في الجهاد :

تولى أسد بن الفرات قضاء أفريقية سنة ٢٠٣ هـ ، فأقام فيها قاضيا يحكم بكتاب الله وسنة رسوله الى أن خرج مجاهدا للروم وفاتحا لصقلية ، وقد ولاه زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب أمير أفريقية على امارة الجيش فقال له أسد : " أصلح الله الأمير من بعد القضاء والنظر في حلال الله تعالى وحرامه تعزلني وتوليني الامارة ؟ " فقال له زيادة الله : " اني لم أعزلك عن القضاء بل وليتك الامارة وهي أشرف من القضاء ، وأبقيت لك اسم القضاء فأنت قاض أمير "(١) .

وكان خروجه الى صقلية سنة ٢١٢ هـ فلما رأى أسد جمع الناس عن يمينه وعن شماله قال : " لا اله الا الله وحده لا شريك له - ثم قال - : والله يا معشر الناس ما ولي لي أب ولا جد ولاية قط ولا رأى أحد من سلفي مثل هذا قط وما رأيت ما ترون ، الا بالأقلام فأجهدوا أنفسكم وأتعبوا أبدانكم في طلب العلم وتدوينه وثابروا عليه واصبروا على شدته فانكم تنالون به الدنيا والآخرة "(٢) .

وقد وصل أسد الى صقلية وكان له فيها مع الروم معارك شديدة انتهت بفتح الجزيرة ، واستشهد فيها بسبب جراح أصابته ، رحمه الله تعالى .

---

(١) رياض النفوس للمالكي (جـ : ١ ، ص : ٢٧١) .

(٢) المصدر السابق (جـ : ١ ، ص : ٢٧٢) .

٧ - سحنون بن سعيد

* حياته الخاصة وطلبه للعلم :

هو أبو سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب بن حسان بن هلال ابن بكار بن ربيعة التنوخي . واسمه : عبدالسلام ، ولكن غلب عليه لقب " سحنون " .

أصله شامي من حمص ، قدم أبوه في جند حمص ، ولد سنة ١٦٠ هـ ، كان ثقة حافظا للعلم فقيها ورعا صارما في الحق ، لا يهاب سلطانا في حق يقوله ، شديدا على أهل البدع ، زاهدا في الدنيا رقيق القلب ، غزير الدمعة متواضعا .

ارتحل الى المشرق ، فزار مصر والحجاز والشام ، سمع من علي ابن زياد والبهلول بن راشد وعبدالله بن عمر بن غانم ومعاوية الصادحي وابن القاسم وابن وهب وعبدالملك بن عبدالعزيز بن الماجشون ومطرف بن عبدالله وغيرهم .

توفي سنة ٢٤٠ هـ رحمه الله تعالى .

* جهوده في الدعوة :

١- نشره للعلم : كان ابتداء تسميعه للعلم سنة ١٩١ هـ ، وقد أخذ عنه العلم خلق كثير ، قال القاضي عياض : " قال ابن حارث ، سمعتهم يقولون : كان سحنون من أيمن العلماء " ، كأن أصحابه

مصابيح في كل بلدة عد له نحو سبعمئة رجل ظهروا بصحبته وانتفعوا بمجالسه "[1] .

فمن تلاميذ سحنون الذين أخذوا عنه : ابنه محمد وأبو عياش أحمد بن موسى بن مخلد الغافقي وأبو حفص عبدالجبار بن خالد السرى وأحمد بن معتب بن أبي الأزهر وأبو جعفر أحمد بن وازن الصواف وكان يسمى جوهرة أصحاب سحنون وغيرهم .

٣- انكاره للمنكر : يقول القاضي عياض : " قال غير واحد ، أول ما نظر سحنون في الأسواق وانما كان ينظر فيها الولاة دون القضاة فنظر فيما يصلح من المعاش وما يغش من السلع ويجعل الأمناء على ذلك ، ويؤدب على الغش وينفي من يستحق ذلك ، وهو أول من نظر في الحسبة من القضاة وأمر الناس بتغيير المنكر"[2] .

وهكذا نرى سحنون بن سعيد رحمه الله قد نظم الحسبة وجعلها ولاية قائمة .

وقد كان سحنون بن سعيد يقوم بتغريق حلق أهل البدع من الجامع مؤديا للحسبة بنفسه وقائما بانكار المنكر[3] .

٤- ولايته القضاء : تولى سحنون بن سعيد رحمه الله قضاء أفريقية

---

(١) ترتيب المدارك للقاضي عياض (ج : ٢ ، ص : ٦١٣) .

(٢) المصدر السابق (ج : ٢ ، ص : ٦٠٠) .

(٣) دراسات وصور للدكتور محمد طه الحاجري (ص : ١٢٠) .

سنة ٢٣٤ هـ ، ولم يكن عن رغبة منه ، قال سحنون : " لم أكن أرى قبول هذا الأمر حتى كان من الأمير ضمينان : أحدهما : أعطاني كل ما طلبت ، وأطلق يدى في كل ما رغبت حتى أني قلت له : أبدأ بأهل بيتك ، وقرابتك ، وأعوانك ، فان قبلهم ظلمات الناس وأموال لهم منذ زمان طويل . اذ لم يجترئ عليهم من كان قبلي ، فقال لي : نعم لا تبدأ الا بهم ، وأجر الحق على مفرق رأسي . فقلت له : الله . قال لي : الله ثلاث مرات"(١) .

---

(١) ترتيب المدارك للقاضي عياض (جـ : ٢ ، ص : ٥٩٦) .

(الخاتمـــــة)

أحمد الله تعالى - في الختام - على أن يسر لي كتابة هذا البحث وتجميع هذه المعلومات ، فانني لم أطلع على كتاب أو بحث جمع جوانب هذا الموضوع مهتما بالمدة الزمانية والمساحة المكانية اللتين اختصصتهما بالدراسة بتوفيق اللـــه تعالى .

ولا أدعي أن هذا البحث يخلو من قصور ، لكن حسبي أني بذلت جهدي - بفضل الله تعالى - ونبهت على دراسة موضوع يستحق مزيدا من العناية والاهتمام ، ولقد خرجت من دراستي لهذا الموضوع بعـــــدة قناعات أقدمها للقارئ الكريـــم :

أولها: أن تاريخ الدعوة مجال خصب للدراسة والبحث ، فهو مجال بحاجة الى من يبين جوانبه ويكشف غوامضـــه .

ثانيها: أن هذا المجال مجال واسع عريض سواء في مدته الزمانيـــــة ، أو في مساحته المكانية ، ولذا فان الكتابة التي لا تقتصر علـــى جانب منه سوف تعطي كلاما عاما وتغفل الكثير من التفصيلات .

ثالثها: أن الكتب التاريخية لا تعطي معلومات كثيرة عن تاريخ الدعـــوة - فيما عدا حديثها عن الجهاد - غير أننا سوف نجد ما يســـد هذا النقص في الكتب التي اعتنت بتراجم الرجال ، سواء كانوا ولاة أو علماء أو زهـادا .

أما ما يتعلق بشمال أفريقيا ، فقد تبين لي ما يلي :

أولا: أن قادة الجيش الاسلامي لم تكن هممهم متجهة الى فتح البلاد فحسب ، بل كانوا يحرصون أيضا على دعوة أهل البلاد الى الاسلام وتفقيههم في الدين .

ثانيا: أن عامة أهل البلاد قد اعتنقوا الدين الاسلامي خلال هذين القرنين - الأول والثاني - ، وشاركوا مع المسلمين في الدعوة والجهاد .

وهو وقت يعد قصيرا جدا اذا علمنا عدم اقدام أهل البلاد على اعتناق المسيحية اقبالا كبيرا ، رغم المدة الطويلة التي سيطرت فيها الدولة البيزنطية ، ومن قبلها الدولة الرومانية على بلادهم (١) .

ثالثا: أن ايمانهم بالاسلام كان ايمانا اختياريا جاء بمحض ارادتهم دون اكراه أو الزام .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

---

(١) استمرت سيطرة الدولة البيزنطية وحدها ما يزيد عن قرن من الزمان انظر : خلاصة تاريخ تونس ، لحسن حسني عبدالوهاب (ص: ٣١) .

(المراجـــــع)[1]

* آثار الحرب في الفقه الاسلامي :

للدكتور وهبة الزحيلي - دار الفكر - الطبعة الثالثة - ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

* آداب المعلمين :

لمحمد بن سحنون - مراجعة وتعليق محمد العروسي المطـــــوى - تونس - ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .

* الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى :

لأحمد بن خالد الناصرى - تحقيق وتعليق جعفر الناصرى ، ومحمد الناصرى - دار الكتاب - الدار البيضاء - ١٩٥٤ م .

* أسد الغابة في معرفة الصحابة :

لابن الأثير - طبع جمعية المعارف - الهند .

* الاصابة في تمييز الصحابة :

لابن حجر - دار الفكر - بيروت - ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

* الأعـــــلام :

لخير الدين الزركلي - دار العلم للملايين - بيروت - الطبعـــــة الخامســة .

---

(١) وهي مرتبة على حسب حروف الهجاء .

* افتراءات حول غايات الجهاد :
للدكتور محمد نعيم ياسين - نشر دار الأرقم - الكويت - الطبعة الأولى - ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

* البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب :
لابن عذارى المراكشي - تحقيق : ج س كولان ، أ . ليفي بروفنسال دار الثقافة - بيروت .

* تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي :
للدكتور حسن ابراهيم حسن - نشر مكتبة النهضة المصرية - الطبعة السابعة .

* تاريخ أفريقية والمغرب :
للرقيق القيرواني - تحقيق وتقديم المنجي الكعبي - الناشر : رفيق السقطي - تونس .

* تاريخ التربية الاسلامية :
لأحمد شلبي - مكتبة النهضة المصرية - الطبعة الرابعة - ١٩٧٣م.

* تاريخ فلسفة الاسلام في القارة الأفريقية - الجزء الأول - الشمال الأفريقي :
للدكتور يحيي هويدى - نشر مكتبة النهضة المصرية .

* تذكرة الحفاظ :
للذهبي - تصحيح عبدالرحمن يحيي المعلمي - نشر دار احياء التراث العربي - بيروت - لبنان .

* تذكـــرة الدعـــاة :

للبهي الخولي ـ دار القلم ـ دمشق ـ بيروت ـ مكتبة الفـــلاح ـ الكويت ـ الطبعة الخامسة ـ ١٣٩٧ هـ/١٩٧٧ م.

* ترتيـــب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الامام مالك :

للقاضي عياض ـ تحقيق الدكتور أحمد بكير محمود ـ منشـــورات دار مكتبـة الحياة ـ بـيروت .

* تقريب التهذيـــب :

لابن حجر ـ تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف ـ نشر دار المعرفـة ـ بيروت ـ والمكتبة العلمية ـ المدينة المنورة ـ الطبعة الثانيـــة ـ ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .

* تهذيب التهذيـــب :

لابن حجر العسقلاني ـ طبع مجلس دائرة المعارف النظاميـــــة بالهند ـ الطبعة الأولى ـ سنة ١٣٢٥ هـ .

* جامع الأصول :

لابن الأثير ـ تحقيق وتخريج عبدالقادر الأرناؤوط ـ نشر مكتبـــة الحلواني ومطبعة الملاح ومكتبة دار البيان ـ الطبعة الأولى .

* جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس :

لأحمد بن القاضي المكناسي ـ دار المنصور للطباعة والوراقـــة ـ الرباط ـ المغرب .

* الجندية في عهد الدولة الأموية :

لوفيق الدقدوقي - نشر مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٥ م .

* الخصائص العامة للاسلام :

ليوسف القرضاوى - مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الثانيـــة - ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣ م .

* خلاصة تاريخ تونـس :

لحسن حســني عبدالوهاب - نشر دار الكتب الشرقية - تونـــس - الطبعة الثالثة .

* دائرة المعارف الاسلاميـة :

لمجموعة من المستشرقين نقلها الى العربية : محمد ثابت الفندى وأحمد الشنتناوي وابراهيم زكي خورشيد وعبدالحميد يونس .

* دراسات وصور من تاريخ الحياة الأدبية في المغرب :

للدكتور محمد طه الحاجرى - نشر دار النهضة العربية - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

* الدعوة الاسلامية :

لتوماس آرنولـد - ترجمة : حسن ابراهيم حسن وعبدالمجيد عابدين واسماعيل النحراوى - نشر مكتبة النهضة المصرية - الطبعة الثالثة ١٩٧٠ م .

* الدعوة الاسلامية ، أصولها ووسائلها :
للدكتور أحمد غلوش - نشر دار الكتاب المصرى - مصر ، ودار الكتاب اللبناني - بيروت .

* الدعوة الاسلامية في عهدها المكي مناهجها وغاياتها :
للدكتور رؤوف شلبي - الطبعة الثالثة - ١٤٠٢هـ/١٩٨٢ م .

* الدعوة الاسلامية في غرب أفريقيا وقيام دولة الفولاني :
للدكتور حسن عيسى عبدالظاهر - طبع ونشر جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية - ١٤٠١هـ/١٩٨١ م .

* الدعوة الى الله تعالى : خصائصها ، مقوماتها ، مناهجها :
للدكتور أبو المجد نوفل - صورة من الكتاب خالية من البيانات .

* رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقية :
لأبي بكر عبدالله بن محمد المالكي - حققه بشير البكوش - راجعه محمد العروسي المطوى - نشر دار الغرب الاسلامي - بيروت - ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م .

* سنن الترمذى :
للامام الترمذى - علق عليه وأشرف على طبعه عزت عبيد الدعاس - مطابع الفجر الحديثة - حمص - الطبعة الأولى .

* سنن أبي داود :
لأبي داود السجستاني - وتم الرجوع الى نسختين :
الأولى : مراجعة وضبط محمد محيي الدين عبدالحميد - نشر دار الفكر /=

/= والثانية : تخريج وترقيم وفهرسة عزت عبيد الدعاس وعادل السيد نشر دار الحديث - حمص- سورية - الطبعة الأولى - ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م .

* سنن الدارمـــي :
للامام الدارمي - طبع بعناية محمد أحمد دهمان - نشرتـــه دار احياء السنة النبوية .

* سنن ابن ماجـــة :
للامام ابن ماجة - تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي - نشر دار احيـاء التراث العربي - ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .

* السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية :
لشيخ الاسلام ابن تيمية - نشر دار المعرفة .

* سير أعلام النبـــلاء :
للذهبي - أشرف على تحقيقه شعيب الأرناؤوط - مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

* شجرة النور الزكية في تراجم المالكية :
لمحمد بن مخلوف - الناشر دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان .

* شرح السنـــة :
للبغوى - تحقيق زهير الشاويش وشعيب الأرناؤوط - نشر المكتـــب الاسلامي - الطبعة الأولى .

* صحيح مسلـــم :

للامام مسلم بن الحجاج - حققه ورقمه وعلق عليه محمد فؤاد عبـــد الباقي - نشر رئاسة ادارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد بالمملكة العربية السعودية .

* صحيح مسلم بشرح النووى :

دار الفكر - بيروت - لبنان .

* طبقات علماء أفريقيا :

لأبي العرب التميمي - اعتنى بنشره محمد بن أبي شنب - سنـــة ١٣٣٢ هـ/١٩١٤ م .

* العبر وديوان المبتدأ والخبر :

لابن خلدون - منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان .

* العرب والاسلام في الحوض الغربي من البحر المتوسط :

للدكتور عمر فروخ - دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الثانية - ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

* فتح الباري شرح صحيح البخارى :

لابن حجر - ترقيم فؤاد عبدالباقي - أشرف على طبعه محب الدين الخطيب - نشر المكتبة السلفية - مصر .

* فتح العرب للمغرب :

للدكتور حسين مؤنس - الناشر مكتبة الآداب بالجماميز - مصر .

* الفتح والاستقرار العربي الاسلامي في شمال أفريقيا والأندلس :
للدكتور عبدالواحد ذنون طه - دار الرشيد للنشر - منشورات وزارة الثقافة والاعلام - ١٩٨٢ م - الجمهورية العراقية .

* فتوح البلدان :
للبلاذرى - قامت بطبعة الشركة الوطنية المصرية سنة ١٣١٨ هـ .

* فتوح مصر وأخبارهـا :
لابن عبدالحكم - طبع ليدن - تصوير مكتبة المثنى - بغداد .

* قادة فتح المغرب :
لمحمود شيت خطاب - دار الفكر - الطبعة السابعة .

* الكامـل في التاريخ :
لابن الأثير - نشر دار صادر - ودار بيروت - بيروت - سنة ١٣٨٥هـ ٥ ١٩٦٥ م .

* كتاب القصـاص والمذكرين :
لابن الجوزى - عني بنشره وتحقيقه الدكتور مارلين سوارتر - نشـر دار المشرق - بيروت - لبنان - توزيع المكتبة الشرقية - بيروت - لبنان.

* لسان العـرب :
لابن منظور - طبعة مصورة عن طبعة بولاق - المؤسسة المصريـة العامة للتأليف والأنباء والنشر .

* مراصـــد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع :
لصفي الدين عبدالحق البغدادى ـ تحقيق وتعليق علي محمـــد البجاوى ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م .

* مسند الامام أحمـــد :
للامام أحمد رحمه الله ـ تصوير المكتب الاسلامي ودار صادر ـ بيروت

* معالم الايمان في معرفة أهل القيروان :
لأبي زيد عبدالرحمن الأنصارى الدباغ ـ أكمله وعلق عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى التنوخي ـ تصحيح وتعليق ابراهيم شبـــوح ـ الناشر مكتبة الخانجي ـ مصر ـ الطبعة الثانية .

* معجم البلـــدان :
لياقوت الحموى ـ نشر دار صادر ـ بيروت .

* معجم مقاييس اللغة :
لأبي الحسين أحمد بن فارس ـ تحقيق وضبط عبدالسلام هـــارون ـ نشر دار الكتب العلمية ـ قم ـ ايران .

* المعجم الوسيط :
اعداد مجمع اللغة العربية في القاهرة ـ نشر دار احياء الـــتراث العربي ـ الطبعة الثانية .

* المفردات في غريب القرآن :
للراغب الأصفهاني ـ تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان .

* المؤنس في أخبار أفريقية وتونس :
لابن أبي دينار - تحقيق وتعليق محمد شمام - الناشر المكتبة العتيقة - تونس .

* ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية التونسية :
لحسن حسني عبدالوهاب - الناشر مكتبة المنار - تونس - ١٩٧٢ م .

*** ***

...

(الفهـــــرس)

الموضـــوع	الصفحة
* مقدمة	١
* تمهيد	٥
١- تعريف الدعوة في اللغة	٥
٢- تعريف الدعوة في الاصطلاح	٥
٣- المراد بشمال أفريقيـــا	٨
* الفصل الأول : وسائل الدعوة وأساليبهـــا ...	١١
- المبحث الأول : وسائل الدعوة	١٢
أولا : الجهـــاد :	١٢
١- الجهاد وسيلـة للدعوة ...	١٢
٢- مراحل فتح شمال أفريقيا ...	١٦
ثانيا : وسائل أخـرى :	٢٦
١- المسجد	٢٦
٢- الكتاب	٢٨
٣- المخالطـة	٣٢
- المبحث الثاني : أساليب الدعوة : ...	٤٢
أولا : الدعوة بالقدوة	٤٢
ثانيا : الدعوة بالوعظ	٤٥
ثالثا : الدعوة بالتعليم	٤٩

الموضـــوع		الصفحة
رابعا : الدعوة بالانكار	...	٥٧
خامسا : الدعوة بالمناظرة	...	٥٩
* الفصل الثاني : نجاح الدعوة وأسبابـــه	...	٦١
= المبحث الأول : نجـــاح الدعوة ...	...	٦٢
أولا : بين غير المسلمين	...	٦٢
ثانيا : بين المسلمـين	...	٧٠
= المبحث الثاني : أسباب نجاح الدعوة	...	٧٦
أولا : أسباب محليـة	...	٧٦
١- الحالة السياسية والعسكرية	...	٧٦
٢- الحالـة الدينيـة	...	٧٨
٣- الحالة الاجتماعية	...	٨٠
ثانيا : أسباب ذاتيـــة	...	٨٢
١- وضوح العقيدة الاسلامية وموافقتها للفطـرة		٨٢
٢- سماحـة الاسلام	...	٨٤
٣- العدل والمساواة	...	٨٧
* الفصل الثالث : أشهـــر الدعـــاة :	...	٩٤
= المبحث الأول : من القادة والولاة :	...	٩٥
١- عقبـة بن نافع ...	...	٩٥
٢- حسان بن النعمان	...	١٠٠

الموضوع			الصفحة
٣- اسماعيل بن عبيدالله بن أبي المهاجر	...		١٠٣
٤- ابراهيم بن الأغلب	...	...	١٠٥
٥- ادريس الثاني	...	...	١٠٧
= المبحث الثاني : من العلماء :		....	١١٠
١- عبدالرحمن بن زياد بن أنعم		...	١١٠
٢- عبدالله بن فروخ الفارسي		...	١١٣
٣- البهلول بن راشد الحجرى		...	١١٥
٤- علي بن زياد العبسي		...	١١٩
٥- عبدالله بن عمر بن غانم		...	١٢١
٦- أسد بن الفرات		...	١٢٥
٧- سحنون بن سعيد		...	١٢٩
* خاتمة ...	... ...	...	١٣٢
* المراجع ...	... ...	...	١٣٤
* الفهرس ...	... ...	...	١٤٤